

العدد الأول

المجلد الثالث

ابولو

مجلة فنية لخدمة الشعر الحى

لسان حال جمعية ابولو

تصدر مرة فى كل شهر

وسنتها عشرة أشهر

سبتمبر سنة ١٩٣٤

صاحب الامتياز ورئيس التحرير { أحمد زكى أبوشادى

الادارة { بشارع الملك المعز رقم ٩ بضاحية المطرية بمصر

التليفون { ٦١١٩٦ و ٤٠٤٥٦

مطبعة التعاون



خرجت مجلة (أبولو) من جهادها عامين وهي كما تراها فتية قوية متأهبة لمتابعة سيرها في طلب غاياتها . ناصرها من ناصر مقتنعاً بأن لها رسالة شريفة تؤديها وأنه يساهم في تلك الرسالة ، وناوأها من ناوأها وهو أحد فريقين : فريق جدير بأن يُعنى بنقده يبغي لها التكامل ويأخذ عليها ما يأخذ عن نية موجهة الى الخير وفريق لا يؤبه لقذعه يحفزه غرض خاص هو ضرب من المرض أو يبعثه خوف من حدوث حدث تتأثر به فصاحة اللغة العربية ! وما أغنى اللغة العربية عن مثل هذه المحاولة المعطلة لحركة رقيها ، وما حركة رقيها الا ضمان حياتها ، لأن الجمود اذا لزم فرعاً من فروعها علمياً كان أو أدبياً قضى عليه .

يشعر الدكتور أبو شادي رئيس تحرير هذه المجلة ويشعر الشباب المثقفون حواليه أن البيان بلسان الضاد يجب أن تتسع جوانبه وأن يسع كل ما يسعه البيان في كل لسان غربي الآن ، فيبذل كل منهم مجهوداً محموداً في هذه السبيل ، وتتفاوت درجات التوفيق بين أديب وأديب وبين مجهود ومجهود ، غير أن الذي علمناه بالاختبار أن الطفرة محال وأن محاولات المجددين هي التي مهدت العقبات دون الوصول الى كل جديد قبل وشاع وأعطى الأدب قوة فوق ما كان له من قوة .

فأمثال هؤلاء الباذلين للنفس والنفيس دون إبلاغ لغتهم المقام الخليق بها بين سائر اللغات الحية يجب تشجيعهم وإكبار ما هم عاقدون عليه العزم ، لا أخذ السبيل عليهم ورميهم بأنهم من أهل البدع الضارة !

على أن تشجيعنا نحن الشيوخ لحركتهم هذه لا يحول دون تشجيعنا لحركات الجماعات الأخرى التي تعتقد أن صلاح اللغة لمهمتها الحديثة في العالم يتأتى من مذهب آخر تذهبه في استقضاء هذا المأرب ، بل نحن نحيي الاجادة من حيث جاءت ، غير أننا لا نرى ضرورة اتحاد المذهب وإن اتحد المطلب .

أنظر في النثر مثلاً الى ما استطاع نفر من نوابغ مصر أن يأتوا به من كل

طريفٍ يكاد يكون معجزاً . إنك لو قيدتهم حيث كان المتشددون فى المحافظة يقضون عليهم بالتقييد لماوجدتَ اليوم بين منتجات القرائح فى لغة الضاد تلك النفائس التى أتوا بها فأضافت الى فخارها العتيق فخاراً له بجانبه كبيرُ شأنهِ .

على أن الصيحة فى وجه المقتنمين المجددين فى طلبِ غاياتهم لم تعقهُمْ قط فى بلدٍ ما ولن تعوقهم فى مصر وبخاصة فى هذه الأيام عن السير قُدُماً . وكيف يقفون وهم يطالعون كلما طالعتهم شمسُ نهارٍ روائعَ فرنسية أو انجليزية أو ألمانية أو ايطالية تجيش فى صدورهم سوانحُ من أمثالها ويأبون أن يتركوا التعبيرَ عنها بلغتهم لأن متصدياً أياً كان يتصدى لصرفهم عنها ؟

فمجلة (أبولو) تدعو الى التجديد وتُفسح صدرَها للآخذين به ، وعملها — على ما يعتورهُ من معايب أو يشوبه من شوائب — إنما هو عملٌ نافعٌ وأعدُّه ضرباً من الواجب .

بقى أنَّ النقدَ الذى يميز الصحيحَ من الزيف هو الذى ينبغى أن يكون كفيلا بالكسر من غلواء المتغالين فى كلتىْ الخطتين : خطة المجددين وخطة المحافظين . أجل ، هو النقد ، ولا أفرق فى المقام بين ما يتناول منه المعانى وما يتناول المبانى . النقدُ هو الذى فى النهاية يردّ الأمورَ الى حقائقها ويُسقط الغثيرَ ويجلو السماء الصحوَ ويثبت فى الأذهان ما هو جديرٌ بالبقاء وينفى من مجال القرائح المعتركة ما هو من عوامل الفناء .

هذا هو رأيى الذى جهرتُ به غيرَ مرة أعيدهُ فى هذا التصدير لفاتحة المجلد الثالث من (أبولو) ، وأرجو الله أن يسدّدَ خُطى الساعين — وإن اختلفتْ سبلُهم — الى إعادة مجد لغتنا ورفع شأن أدبنا ، وأدعو لهذه المجلة بالتوفيق فى رسالتها الجليلة على ما دونها من فرط المشقة وبعد الشُّقة ؟

خليل مطران



استقبال العام الثالث

تستقبل (أبولو) بهذا العدد عامها الثالث متفائلة بالتطوّر الحديث فى النهضة الشعرية ، فقد استهلت حياتها والتمكين الأدبىّ موقوفٌ على بضعة أعلام ، وعشرات من الشعراء المجيدين مجهولون ، والناس تنظر الى مَن قال لا الى ما قيل ، وروحُ التحزب الى شعراء معينين سائدٌ كلّ السيادة فى البيئات الأدبية ، فعملت على نقض هذه التقاليد العقيمة مستعينة على تحقيق ذلك بمبادئها الحرة وبجماعتها المتضافرة . وكان هذا المسلك العامل القوى الذى عوّض العربية سريعاً فى خسارة شاعريها الكبيرين المرحومين محمد حافظ ابراهيم بك واحمد شوقى بك ، بحيث شهد الشعر العربى فى العامين الماضيين من النهضة والتسابق الى الابداع ومن تحرر أنصاره وإنصاف مواهبهم وكرامتهم ما لم يحلم بمثله فى أى عصر مضى ، حتى أدهشت هذه الحركة نقاد الأدب كلّ الدهشة ، بعد أن كانوا فى البداية يتشاءمون ولا يرتقبون إلا الركودَ على أثر وفاة المرحومين حافظ وشوقى . ولكن هذه الحركة الاصلاحية التحريرية بدأت فى حياتهما ولها سند قوىٌّ من الايمان فلم يعقها أىّ عائقٍ عن الاستمرار الى غاياتها المنشودة ، وها هى سائرةٌ بتوفيق عظيم ، وقد نبهت فى طريقها شتى المجلات والصحف الى أهميتها فسايرتها طائعة أو مرغمة وإن ذهب بعضُها الى تفاسير وتعاليل ليست من الحقيقة فى شىء .

ولعلّ من أهم المبادىء التى بثتها (أبولو) التخلى عن المنافسة للزعامات الشعرية التى كانت تستعبد الشباب ، وبث روح الثقة والكرامة الشخصية فى ذلك الشباب الذى هو أمل الحاضر والمستقبل وعليه نعوّل فى اطراد النهضة . وقد أدى كل هذا الى فسح الطريق لشعراء الشباب حتى فى الصحف والمجلات المحافظة التى ما كانت تأبه لهم أو تعنى بهم فأصبحت الآن تتهافت عليهم ، وأصبح شعراء (أبولو) ملء الأسماع والأبصار فى جميع المنتديات الأدبية ، وصارت دواوينهم تتألق تباعاً كالنجوم الساطعة .

واذا كان قد تخلف عن مسايرة هذه الحركة أفرادٌ ممن لا تلائمهم طبيعتها ، فانّ صفاتها التعاونية وقوتها الأدبية الخالصة مما يكفل لها الاستمرار والفتوحات المتوالية.

وقد استدعت هذه الجهود تضحيات جسيمة كما استثارت مقاومات عنيفة لنا مادياً وأدبياً ، ولكننا تحملناها حامدين لله سبحانه وتعالى ما وهبنا من جَلَدٍ لاحتمالها ، ورأينا أن الأكرم لنا اصدار المجلة فى حدود ميزانيتها لتؤدى رسالتها الفنية عن أن نتوسع فى حجمها وأبوابها اذا كان هذا التوسع رهيناً بضياع استقلالها كما أضاعت مجلات أخرى ذلك الاستقلال مرضاةً لعشاق الزعامات وعُبَّاد الأنانية .

ولا يسعنا فى ختام هذه الفاتحة الا شكر كل من ناصرنا من الشعراء والأدباء فى العالم العربي ، وقد أزعجهم أن يُشاع عجزنا عن الاستمرار على اصدار هذه المجلة بسبب الظروف المالية وخطتها الاستقلالية الجريئة ، كما أننا نسامح من شجعتهم تلك الاشاعة على الحملة المغرضة علينا والتفنن فى الاساءة الينا ولا غاية لنا فى كل حال سوى خدمة الأدب الخالص ورفعة الشعر العربي والذود عن مُثُلِهِ العالية .

عند وزير المعارف

فى ظهر يوم الأحد ١٩ أغسطس تشرف وفدٌ من (جمعية أبولو) بمقابلة صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف فى دار الوزارة ببولكلى (رمل الاسكندرية) وقد كان هذا الوفد مؤلفاً من رئيس الجمعية خليل مطران ووكيلها أحمد محرم وسكرتيرها أحمد زكى أبو شادى ومن حضرات الأعضاء الدكتور زكى مبارك وخليل شيبوب وعلى محمد البحراى وعبد العزيز عتيق .

وقد تفضل صاحب المعالى الوزير فاستقبل هذا الوفد الأدبي أحسن استقبال ، وفى الحق ان شعور أعضاء الوفد نحو معاليه كان كافياً لتهيئة هذا الجو الودّى الصافى ، فقد كانت نظرة الأعضاء الى معاليه نظرة التبجيل المطلق لا لشخصيته الأدبية العلمية المهذَّبة فقط بل كذلك لإيمانهم بأن معاليه فى كرسيّه الرفيع هو فوق الأحزاب والشخصيات لأنه زعيم الثقافة فى الأمة ورجل الساعة المؤتمن على تنشئة مصر الحديثة .

وقد خطب رئيس الوفد الشاعر خليل مطران بين يديه فقال ما خلاصته إن



صاحب المعالى محمد حلمى عيسى باشا

هذا الوفد من (جمعية أبولو) يتشرف بأن يرفع الى معاليه مُجَـلَّدَيْ مجلتها الشعرية عن سنتين توفرت فيهما الجمعية على خدمة الشعر العـربى أحسنَ خدمةٍ ، وأثبتت فيهما حيويته وقدرته على مسايرة الزمن ، مما جعل لمجلة (أبولو) مكانة سامية فى العالم العربى وأهَّـلها لأن تُعَـدَّ مرجعاً ممتازاً من مراجع الثقافة الشعرية والنقد الأدبى . والجمعيـة بعد هذه الجهـود الطويلة المحسوسة تتقـدم الى معاليه بآثارها ليشملها برعايتـه التى أسبغها على كل فروع الثقافة فى مصر ، فالشعر كان وما يزال من الفنون الجميلة ذات الأثر البعيد فى تهذيب الشعور وصقل المدارك . والمرتقَـبُ من معالى الوزير الأديب الـكبير الذى لم يفته خدمـة أية ناحية من نواحى اللغـة والأدب والعرفان فى مصر أن لا يحرم هذه النهضة الشعرية المباركة تعزيزه ومناصرته الفعالة ، خصوصاً ومصر معـدودة كعبة الأدب العربى ، وحرىٌّ بجمعياتهـا وهيئاتها الأدبية أن تـكون مثال القوة والـكمال فى حياتها وانتاجها ، وهو موفَّق الى ذلك إن شاء الله .

وتكلم بعده الشاعر أحمد محرم فأشار الى أن خدمات (أبولو) خدمات منقطعة النظير، والى أنها قد أظهرت الكثيرين من أفاضل الشعراء المغمورين وأبرزت المواهب الشعرية الكامنة فأسدت خدمات جليلة الى لغة الضاد والى الفن الشعرى الصادق والى النقد الأدبى النزيه . وقد أثبتت فى غير شك غيرتها الفائقة على مكانة العربية والشعر العربى ، ووفقت أحسن توفيق بين القديم والجديد وبين ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، لا لغاية سوى إعزاز العروبة والشعر العربى وإحلال آدابنا المكانة اللائقة بها بين الآداب العالمية بدل عزلة الجمود والغرور ، وكل هذا لا يفوت وزير معارفنا الجليل.

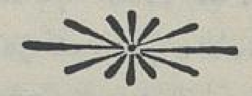
ثم تكلم الدكتور زكى مبارك فقال إن اصدار مجلة كأبولو سنتين كاملتين بغير معاونة من وزارة المعارف معناه تضحية مادية غير قليلة ولكن معناه كذلك حسن الثقة بالوزارة وبمعالى الوزير فانّ الأعمال تتكلم فى النهاية ، وها هى أعداد المجلة خير شاهد على الجهود المبذولة لرفعة الشعر العربى من كل الوجوه . وحسبنا أن يطلع معالى الوزير عليها فيرى ما يرى من الغيرة الفنية على خدمة لغتنا الشريفة وانصاف عبقريتها الأدبية فى فنون الشعر . وفى الوقت الذى تشترك وزارة المعارف العراقية فى مجلة (أبولو) لجميع مدارسها لا شك فى أنه لا يُرضى معالى وزيرنا أن تتخلف وزارة المعارف المصرية عن غيرها فى نصرة هذه المجلة الوحيدة من طرازها فى العالم العربى ، فانها مدرسة قائمة بذاتها غير محدودة النفع للأدب العربى ، وجديرة بلا شك بأقصى مساعدة تستطيع وزارة المعارف المصرية أن تقدمها اليها لأنها مظهر صحيح من مظاهر نهضتنا الادبية الحديثة .

ثم تكلم الدكتور أبوشادى سكرتير الجمعية فأشار الى أن مثل هذه المجلة الفنية مما لا يقوى على الحياة بغير إعانة حكومية وافية ، وأن مجلة (أبولو) - بشهادة الكثيرين من الأدباء المستقلين فى العالم العربى - قد أدت رسالتها أحسن أداء ، فهى لا تعرف التحزب الأعمى ولا تتعلق بالشخصيات وانما غرضها الصريح خدمة الشعر العربى والنقد الشعرى فى ضوء الثقافة العالمية ، والبرهنة العملية على قدرة لغتنا العربية الشريفة على مجاراة الزمن ومنافسة بقية اللغات الحية . وقد حاربها بعض المغرضين الذين يحلو لهم فى كل زمان ومكان تشويه الجهود الاصلاحية لفائدتهم الخاصة ، ولكن الاخلاص فى العمل هو الذى ينتصر فى النهاية . ثم أشار الى أن مجلة (أبولو) هى واحدة من مجلات فنية وأدبية متصلة بجمعيات (ندوة الثقافة) كما يعلم معالى

الوزير ، وأن الغرض النهائى الذى ترمى اليه الندوة هو أن تصير فى يوم قريب هيئة تعاونية ثقافية ممتازة لخدمة الأمة المصرية ولخدمة العروبة . فكل معاونة تقدم الى مجلة (أبولو) والى شقيقاتها إنما تؤدى الى تحقيق هذه الغاية الثقافية الشريفة . وقد تحملنا حتى الآن من الخسائر ما يقارب الألف من الجنيهات ، وآثرنا مع ذلك الاستمرار على العمل إثباتاً لاخلاصنا ووفائنا الادبى وذلك قبل أن نتقدم الى معالى الوزير بثمار جهودنا راجين مساعدة الوزارة لنا حتى نستمر فى عملنا ، بل لنستطيع التقدم بخطوات أخرى نحو مضاعفته وتنويعه .

وأخيراً تفضل معالى الوزير بكلماته الغالية فأثنى على (جمعية أبولو) ومجلتها وعلى (ندوة الثقافة) وجهودها عامةً ، وقال معاليه إنه يسرّه مساعدة مثل هذه المجلة الأدبية الراقية كما ساعد صحيفة دار العلوم من قبل ، وانه فى الواقع لا يضنّ بالمساعدة فى غير تحيّز على شتى المجلات العلمية والأدبية والفنية إذْ يعنيه تقوية وسائل الثقافة الحرة . وهذه المجلات أَوْلَى بالحياة من المجلات البذيئة المفسدة لأخلاق النشء . ثم قال معاليه إنه يشكر للجمعية هذه الهدية النفيسة وسيستمتع أكيداً بمطالعتها من وقت الى آخر ، وهو إنْ لم يكن على اتصال دائم بجميع الأعضاء الاّ أنه يعرف جهودَ كلّ منهم معرفة وافية ، ويسرّه أن يرى أمامه نوابغ يمثلون خير تمثيل أدب الشيوخ وأدب الشباب ، ويغتبط بصفة خاصة بالتنويه بأدب الشاعر الكبير خليل مطران فان له ما له من المكانة السامية فى نفسه كما له مكانة رفيعة فى نفوس الأمة المصرية ، وكم له من مآثر وخدمات أدبية يؤدّيها داخل الوزارة وخارجها للنفع العام بدون أىّ مقابل ، وانّ جمعية يكون على رأسها أمثال خليل مطران وأحمد محرّم لهى جديرة بكل عمل صالح وبالتشجيع منا .

فكرّر الوفد لمعالى الوزير أخلص الشكر على هذه الأريحية وعلى هذه المقابلة الودية الكريمة .





أبولو والشعراء

كتب حديثاً الشاعر سيد قطب بعض فصول عما دعاه الدواعي الأصلية لمعارك النقد الأدبي في مجلة (الأسبوع) وقد تعرّض فيها لجمعية أبولو في أكثر من موضع تعرّضاً مقروناً باهانتنا وباكبار صديقه العقاد وبزج أسماء أخرى كان يصح إغفالها ما دمنا قد أسقطنا حسابها إسقاطاً تاماً .

(١) فأما عن إكباره لصديقه العقاد بل تقديسه إياه فشعورٌ صادقٌ من ناحيته بلا نزاع ، وهو جديرٌ بأن يشكر عليه في زمن تفشى فيه الجحودُ . ونحن من جانبنا نحبّ أن نؤكد له إن كان في حاجة الى تأكيد أننا شخصياً وكثيرين من أعضاء جمعيتنا نحترم العقاد كشاعر ونعرف له مكانته كأديب ، وقد نوّهنا بذلك تكراراً على صفحات هذه المجلة . ومن مصلحة العقاد نفسه أن نفسح أبوابَ المجلة للنقد الأدبي الحرّ ، وقد جارتنا في ذلك بعض مجلات وبينها مجلة (الأسبوع) نفسها التي يكتب اليها ناقدنا . وقد ضُرِبَ المثل في غير صحيفة بتسامحنا في ذلك حتى أننا ننشر ما يكتب ضدّنا شخصياً ، فخدمة الحقيقة أعزّ علينا من أنفسنا . ولم تفتنا الكتابة الحسنة عن ديوانين للعقاد ، والاعلان عن أحدهما ، وعرض شعره للترجمة ، والتنويه بمزايا أدبه ، ونشر رسائل تقديرية له ، والتخفيف كثيراً من النقد الشديد الذي كان يوجّه اليه كناقد وشاعر ، والامتناع عن نشر ما هو أشدّ حتى اتهمنا الشاعر الكاتب المعروف مصطفى صادق الرافعي بالتحيز الى جانب العقاد ، ودعوة سيد قطب نفسه لالقاء محاضرة عنه — كل هذا والعقاد يناصبنا العداء لما أدخله في رُوعه أهلُ السوء من الخرافات ضدنا — فهل من العدل أن يقال عنا عكس هذه الحقائق وقد ضربنا أنصعَ مثلٍ في ضبط النفس والتسامح وحبّ الأدب

للأدب ومقابلة الاساءة بالاحسان ؟ ان صفحات (أبولو) بعيدة عن أيّ ظاهرة ترمى الى محاربة شاعر بآخر ، بل مبادؤنا عكس ذلك تماماً ، وقد عملنا دائماً على ابراز المواهب أينما كانت والانتفاع بجهود الجميع ، والابتعاد عن الامارات والوزارات الشعرية ، والدعوة الى تقدير الأعمال قبل تقدير الأشخاص . وسيد قطب نفسه لا يجهل كيف عُنينا بشعره قبل أية معرفة شخصية به ، فالنبوغ الفنى يستهوينا أينما كان مَصدرُهُ . ومُحالٌ أن (جمعية أبولو) — وفيها كثيرون من محبي العقاد — ترشح الدكتور ناجى مزاحماً للعقاد حينما لا يوجد أيّ مجال للمزاحمة بينهما وحينما الفكرة فى ذاتها غاية فى الصبيانية ، فلكل شاعر منهما وجهة نظره الفنية والفارق بينهما بعيدٌ ، وإذا نوّهنا بتبريز ناجى كشاعر عاطفى مبدع فليس معنى ذلك انتقاص مواهب العقاد ولا غير العقاد ، فكثيراً ما طاب لنا التنويه بمواهب العديدين من الشعراء والتعريف بهم مما كان له أثرٌ فعالٌ فى الحركة الأدبية الأخيرة . يقابل ذلك من ناحية العقاد جحودُه الذى اشتهر به وانتقاصُه المغرضُ لأعمالنا وكهولتنا الأدبية ولشاعريتنا وخطتنا ، ومع ذلك نقابل أخطاءه الكثيرة بالتسامح المتناهى ، بل وبالعطف والمودّة مراعاة لحالته الصحية وظروفه الخاصة . فهل من الخير للعقاد وللأدب أن نسقط ذكره من هذه المجلة ؟ هذا ما نشكّ فيه وللعقاد أن يدعى الآن أنه يستنكف أن نكون فى مستواه ، ولكن يجب أن لا ينسى أننا كنا معرفة سنين حينما كان هو محض نكرة .

(٢) وأما عن الأديب كامل كيلانى فأمره هينٌ : فقد التجأ الينا لنأخذ بيده كما التجأ الى العقاد والى غير العقاد من قبل وكان هذا فى بداية سنة ١٩٢٩ . ووجدناه ودوداً ظريفاً محباً للأدب ، فأحببناه وشجعناه ، وفتحنا أمامه أبواب كثيرين من الناشرين والمجلات ، وقدمنا له ما فى وسعنا بل أكثر مما فى وسعنا من شتى المساعدات حتى كان يصرح فى امتنانه أننا خلقناه خلقاً جديداً ، كما يشهد بذلك صديقاه الحميمان الشاعر الكاتب سيد ابراهيم والشاعر الدكتور عبدالله عبدالعزيز . ولا نقول هذا بروح من المنّ فان المنّ على أى حال — وفى هذا المقام خاصة — جريمة أدبية خلقية فى نظرنا ، وانما نذكره للحقيقة التاريخية وحدها وقد أرغمنا على بيانها إرغاماً . ثم يدور الزمنُ دورته فاذا بكامل كيلانى يؤثر لمصلحته الخاصة أن يحارب أعمالنا الثقافية ويخترع لذلك ما يشاء من الأسانيد الملفقة ويوقع ببراعته بيننا وبين نفس مَنْ قدمناه اليهم من الأدباء والناشرين وأصحاب المجلات ...! ثم يتدلى خطوة

خطوة وينشر ضدنا الأراجيف فى المقاهى والمنتديات ويتفنن ومن يلوذ به من الوصوليين فى ذلك وفى محاولة الاساءة الينا بكل وسيلة دون أن يعدم التظاهر بصداقتنا اذا اقتضى الحال أمام الخلصاء من أصدقائنا ! وتشبع بروح «الفتوّات» فلم يفته استعمال التليفون لشتمنا (وقد بلغنا أن له سوابق من هذا القبيل مع العقاد وغيره) والايعاز بمثل ذلك من الرسائل ، فضلا عن محاولة الاساءة الينا فى عملنا الرسمى ، وقد أشرنا الى كل هذا فى عدد يونية الماضى وقبله . وازاء هذا التدلّى المدهش نفضنا يدنا منه نفضاً تاماً ، تاركين له الاستمرار فى جحوده واساءته وتدلّيه الى أبعد غاية يختارها ومنها اختراع المطاعن فينا ونسبتها حتى الى الأموال وبينهم المرحوم شوقى بك ، ولا عبرة بما يقوله من الترهات عكس ذلك فالتواريخ وشهادات الكرماء لا تكذب. ونحن على أى حال لن نأسف على احسان أسديناه بنية خالصة لخير الأدب ، وإن ظهر الآن أنه كان احساناً فى غير موضعه .

(٣) وأمّا عن الشاعر محمود أبوالوفا ، فنحن لم نفتعل أىّ تكريم له ، وحفلة حديقة الأزبكية كانت انسانية محضة ، وقد كُتِبَ عن ديوانيه فى هذه المجلة أحسن كتابة . وهو شاعرٌ وجدانى رقيق غنائى النزعة ، وقد شجعناه وقدرناه قدره دائماً ، ولا شأن لنا بما كتب نقداً له فى مجلات أخرى . فمجلة (الامام) مثلاً لم تلغ شاعريته ولم تحمل عليه وانما خدمته حين انتقدته ، والشاعر محمود حسن اسماعيل لم يكتب عنه فى ملحق (السياسة) الأدبى الا ما تعوّد أن يقول مثله دائماً عن أبى الوفا . والصيرفى لم يُشر فى مجلة (أبولو) الأ لعادته التى آخذناه عليها قبلاً من نظمه خواطر سابقة لغيره من الشعراء ، وقد نصحناه من قبل تكراراً بتجنُّب ذلك وبالابتعاد عن شعر التكسُّب ، وبأن يلتفت الى الانتاج الفنى وحده فهو الأجدى عليه فى النهاية . ونحن الذين شجّعناه على اخراج ديوان (الأعشاب) وأعلنّا عنه فوراً من تلقاء أنفسنا وطبعنا له هديةَ دفاتر الاشتراك فيه وأوصينا مَنْ أوصينا بمؤازرته . واذا كنّا قد شجّعنا الشعراء الشباب فقد أصابه هو بصفة خاصة أضعاف ذلك ، ولكنه أبو الجحود . . . فتمرّد كما تمرّد صاحبه كامل كيلانى من قبل وأخذ يشتم وينتقص مَنْ عطفوا عليه ، حتى أصبح ولا صديق له الا مَنْ يعرفون كيف يستغلونه لامتداحهم (بعكس حالنا معه دائماً) وإلاّ مَنْ خفيت عنهم طبيعته مِنْ أنانية وتقلُّب .

(٤) إنّ (جمعية أبولو) مسؤولةٌ أدبياً عن مؤزارة أعضائها وابراز مواهبهم بل ومناصرة النهضة الشعرية عامةً ، وهذا ما فعلته وتفعله الآن وفي المستقبل لوجه الأدب الخالص حتى مع مَنْ تُزيّن لهم أنانيتهم وأهواؤهم أن يُحاربوها ، فنحن الذين نعطي درساً في التسامح الأدبي لا من يتلقاه . وهيهات لنا أن نقرّر بأحدٍ بأية صورة من الصور ، فما يدّعيه صاحبنا الناقد دعوى باطلة من ألفها الى يائها ، والاحجام عن التمادي في مناقشته والردّ عليه انما هو برجاء منّا صيانة للأقلام عن المهاترات الفارغة والتنابذ الممقوت . وإلاّ فأيّ معنى لأن يأتي مثل سيد قطب فيتظاهر بالقداسة الخلقية ويخترع ما يخترع من تُهَمٍ يوزّعها على الناس ويخلط بين الحق والباطل ويطعن في شرفنا الأدبي ، ثم يتحدّث عن الأخلاق وصيانتها كما تحدّث « البطل » التاريخي (دون كيشوت) وهو يخلط أوهاماً بأوهام ؟ ! لماذا كلّ هذه المناورات في سبيل إظهار نفسك أيها العزيز بمظهر المقصود المرجوّ الذي يهمّ الأدباء آراؤه ونقدُه ؟ ولماذا كل هذا المنّ والكبرياء المصطنعة ؟ ومَنْ ذا منّا الذي تعلمه أصولَ الأخلاق وقد أثبتَّ بما لا مجالَ للشكّ فيه أنك بتصرفاتك التي تعترف بها والتي نحاشَيْنا التحدُّثَ عنها آخر من يجوز له ذلك ، وأنك كزملائك الأعزاء الذين نحنّ اليهم مِن أحوج الناس إلى عرفان الأدب الاجتماعي ؟ لقد كنا نحسب فيك الرزانة والتعقل وصفاء النفس الى جانب ذكائك ، فاذا بذكائك وحده كاليتيم ، واذا بكل هذه الصفاقة التي كنت تسترها تزيده يُتماً على يُتمٍ .

(٥) غير صحيح أن مجلة (أبولو) سمحت لأحد أن يستبيح حرمة الأدب والفن والأخلاق على صفحاتها ، وإنما كانت جميع جهودها وتضحياتها لأجل صيانة هذه الحرمة . ولو عُرِضت لنا أمثلة نقدية بالذات لما شق علينا أن نوضحها في ضوئها الصحيح . وليثق كل من يحسن الظن بنا أننا لن نحيد عن هذه الخطة النزيهة المستقلة وأننا نحل وسنحل دائماً عقيدتنا الأدبية فوق كل اعتبار ، ولن تعنينا بعد ذلك التفاسير المغرضة أو الخاطئة اذا ما أصرّ أصحابها على خطيئتهم .

(٦) نحن نقدر النقد الأدبي ، ونشكر لكل ناقدٍ حرٍّ مخلص جهوده كيفما كانت آراؤه . ومن أجل ذلك شكرنا لسيد قطب ولغيره نقدهم لشعرنا ولشعر زملائنا ، كما شكرنا للدكتور طه حسين رغبته في مثل هذا النقد وقد أرسل الينا ثلاث مرات طالباً دواويننا . ونحن نقبل جميع الأحكام النقدية الخالصة بكل ارتياح كيفما كانت

لأننا لن نرضى عن آراء تلقن للنقاد ، ولن يكون ذلك منا ولا من أصدقائنا . وغير صحيح إذن أننا من يقف موقف التوريط للدكتور طه حسين ولا لغيره ، وحسبنا شهادة الدكتور زكي مبارك على ذلك ، وكثيراً ما أنتجنا وأسقطنا البيئة من حسابنا فما يعنينا إلا شعورنا . وأما عن الشاعر عباس محمود العقاد الذي يقال عنه أو يقول عنّا بأن اقتران اسمنا به هو رفعنا الى مستواه ، فمثل هذا الهراء مما يضحكنا ، لأننا نعدّ كما يعدّ كثيرون من تسامحنا الأدبي أن نرضى بزمالته على ما هو معهود فيه من مغالطات أدبية وغير أدبية ، ومن ثقافة مضطربة ، ومن شاعرية ينقصها الطبع الأصيل في مواقف كثيرة برغم حسناته ، ومع ذلك فاننا آخر من ينكر مواهبه ونصيبه الصالح في النهضة الادبية الاخيرة . وأما الزعم بأنه مركز للنهضة الادبية وهو من هو في أنانيته ، أو أنه فوق البيئة وهو من يعنى بالكثير من صغائرها ، فكلام مردود يأباه المنطق الصحيح والواقع الملموس . ويحسن بالعقاد أن يتمثل دائماً بهذين البيتين لاستاذنا مطران لعلهما يؤثران على عقله الباطن ويصلح وحيُهما من نفسيته :

حرامٌ علينا الفخرُ بالشعر إن نقعْ نسورُ معاليه وقوعَ ذُبابِ
وما كبرياءُ القول حين نفوسُنا تجاويفُ أرضٍ في انتفاخ روابي ؟!

(٦) كتب الدكتور طه حسين وكتب الشاعر سيد قطب من قبل عن أبي الوفا عما يُشعر أن لنا أو لرابطة الأدب الجديد يداً في اظهار أبي الوفا بمظهر الشاعر المتفوّق ثم التخلي عنه بعد ذلك ، أو أن لنا أيّ شأن في اتصاله بدولة صدقي باشا واظهاره بمظهر الشاعر المنافح عنه . والواقع أننا عطفنا على أبي الوفا عطفاً انسانياً محضاً كما يجب أن يُعطفَ على أمثاله من الأدباء البائسين . أما تحويل هذا العطف ذلك التحويل المستنكر على حساب (الوفد المصري) أو غيره من الهيئات السياسية فلم يكن لنا بطبيعة الحال أيّ شأنٍ به ، كذلك لم يكن لنا أيّ شأن بمقابلته لدولة صدقي باشا وما جرى في ذلك الاجتماع ، إذ أننا رفضنا رفضاً باتاً مصاحبة مَنْ قابلوا دولته واستنكرنا كلّ الاستنكار ما جرى في ذلك الاجتماع من إرضاخ الأدب للسياسة.

(٧) لم نحدّث سيد قطب حمداً عن الشعراء عباس محمود العقاد وعلي محمود طه ومحمود أبي الوفا وابراهيم ناجي ولا عن الأديب كامل كيلاني ولا عن غيرهم برغبة منه على نقدهم كما نهوى أو بروح العداء أو بروح التحيز ، فنحن أرفع من كل هذا

العبث ، ولسنا فى خلوٍّ من البال لشيء من هـذا الصغار ، ولا يعنينا بصفةٍ جديةٍ ما يقوله سيد قطب ولا غير سيد قطب عن هذا أو ذاك منهم . ولن نردّد نحن فى هذا المقام آراءه الشفوية أثناء أحاديثنا العرضيّة سواء أكانت تلفونية أم غير تلفونية ، فنحن نعرف معنى الكرامة الخلقية ونعرف كيف تصان هذه الأحاديث برغم التجنى علينا . وانما نقول إننا جدُّ صرحاء ، وانّ ماقلناه فنيّاً عن هؤلاء وغيرهم من الشعراء والأدباء فى هذه المجلة من قبل لا يزال قولنا ، واننا إذا وجدنا أحاديثنا يساء تناولها والتلاعب بها فحسبنا أن نبتعد فى حزمٍ وترفّعٍ عمن يحلو لهم ذلك لغاياتهم الخاصة . ويقيننا أن هذا ينطبق أيضاً على بقية زملائنـا من أعضاء (جمعية أبولو) فلا معنى إذن لذلك الكلام الطويل العريض الذى يريد صاحبنا به أن يكبر من شأن نفسه . ونحن بعد هذا نستطيع أن نلتقى بالقـلم ، تاركين لأدباء القال والقيل والمناوشات أن يمرحوا فى أخيلتهم ومخترعاتهم على حسابنا كما يشاؤون ، وكلٌّ انسانٍ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له .



أعمال خريجى البعثات

تعدّ مصر فى طليعة الأمم التى تعنى بالبعثات العلمية : فلها مبعوثون فى فرنسا وألمانيا وانجلترا وايطاليا وسويسرا ، وللبعثات المصرية مكاتب معروفة فى لنـدن وباريس وبرلين .

ومع هذه العناية بالبعثات لا تزال الأمة المصرية محرومة من الاتصال بالثقافات العالمية فى العلوم والآداب والفـنون ، لأن خريجى البعثات — فى الأغلب — لا يهمهم غير المناصب والدرجات والترقيات . ويندر أن يشغل أحدهم نفسه بأعباء الترجـة والتأليف ليردّ بعض الدين الذى طوقته به الحـكومة حين بعثته ليتعلم فى طمأنينة من هموم المعاش .

ولرفع هذه الوصمة عن خريجى البعثات فكّر حضرة صاحب المعالى الجليل محمد حلمى عيسى باشا وزير المعارف العمومية فى مشروع الترجمة والتأليف. وهو مشروع لو نفّذ لأمكن تغذية الحياة العلمية والأدبية والفنية تغذية صالحة بنقل المهم مما ألّف علماء الغرب فى العلوم والآداب والفنون.

وقوام المشروع هو تكليف كل عضو من أعضاء البعثات بترجمة كتاب فى العلم الذى تخصص فيه، وترجمة رسالته إن كان امتحانه يوجب تقديم رسالة، على شريطة أن توافق لجنة البعثات على الكتاب الذى اختاره العضو للترجمة، ولها أن تفرض ترجمة كتاب ترى ترجمته واجبة.

ولا ينال العضو الدرجة التى يستأهلها الا بعد أن يقدّم ما يجب عليه من ترجمة وتأليف.

وقد شكلت لجنة فى وزارة المعارف لدرس هذا المشروع فوضعت له القواعد الأساسية.

ولكننا علمنا أن خريجى البعثات لم يهتموا الا بتقديم رسائلهم، فمن الواجب أن يتنبه أولو الأمر فى وزارة المعارف العمومية الى أن الأهم هو البدء بترجمة المؤلفات العظيمة ذات الصبغة العالمية فى العلم والأدب والفن والفلسفة والتشريع.

أليس من العجب أن يظل ديكارت وكانت وسبينوزا وهوبس وبرجسون ودانتى وملتون ومن اليهم من أعلام الفكر الانسانى مجهولين فى هذه البلاد؟

لقد سمعنا أن هناك شيئاً من التردّد فى تحقيق هذا المشروع الجليل، ومن واجبنا أن نذكّر صاحب المعالى حلمى عيسى باشا بأنه يستطيع أن يؤدّى لوطنه خدمة عظيمة يذكرها له التاريخ إن رعى هذا المشروع رعاية جدية تحقق آمال الراغبين فى ازدهار العلوم والفنون والآداب.

ان الحكومة تنفق ألوف الجنيهات كل عام على أعضاء البعثات، وتنفيذ مشروع الترجمة والتأليف هو الثمرة لتلك النفقات، وهو كذلك سناد للحركة العلمية التى ابتدأها جلالة الملك بانشاء الجامعة المصرية؟

زكى مبارك

أهكذا يخدم الأدب ؟

تتبعتُ بشيء من التسلية والتعجب والأسف الحملة البذيئة على (جمعية أبولو) وسكرتيرها ومجلتها فى صحيفة « الأسبوع » فتأسّفتُ كثيراً لأن يندّ قلم الشاعر سيد قطب بشيء من ذلك فاني ما عرفتُ سيد قطب نفسه كشاعر الا من تنويه مجلة « أبولو » به . وقد لحظتُ أن غاية كل تلك الحملات تمجيد العقاد على حساب جميع مَنْ يعدّهم منافسيه ، وإن ذهب أديبنا الى شيء خفيف من النقد السطحى للعقاد تمويهاً باستقلاله فى ما يكتب ! ولكن هذا التمويه لا يخفى على أيّ قارىء بصير. وهو بعد هذا مفتون بتمجيد نفسه بصورٍ مضحكة من الادعاء والاستنتاج الغريب .

والأديب سيد قطب نفسه حُرٌّ فى تأليه العقاد وفى تمجيد نفسه إذا شاء ، ولكن لا معنى لأن يكون ذلك على حساب النهضة الأدبية وشخصيات شعرائنا وأدبائنا ، فان جميع ما كتبه حتى الآن لا يعدو الاعلان الرخيصَ عن العقاد وعن سيد قطب ، ومحاربة زملائه بأساليب متنوعة تحمل فى طيها الايقاع بين الأدباء ... ومما يؤسف له أن صحيفة « الأسبوع » نفسها استمرأت هذا النوع من الكتابات التجارية الرخيصة ، فتحيزت لسيد قطب فيما تسميه منبرها الحر ضد صديقى الشاعر صالح جودت الذى ردّ فى صراحةٍ على تلك المفتريات . وهذا مما دعا صالح جودت الى الترفع عن الكتابة ثانية ، كما ابتعد عنها ابراهيم المصرى وعبد اللطيف السحرتى ومختار الوكيل وغيرهم من قبل ، وذلك لما رأوه من التحيز الظاهر ضدّهم إكراماً لعيون العقاد ، كأنما الغرض هدمهم بأيّ ثمن ، وهُم الذين خدموها وعززوها من قبل بالقلم واللسان !

ولكن المؤلم فوق كل هذا (وهو الأهمّ عندى) أن سيد قطب يجوس خلال المجالس ويتحدث بحرية ثم يأتى بعد ذلك فيسقط جميع أقواله النقدية عن هذا وذاك ويتنامى انتقاصه للأدباء — وقد حضرتُ شخصياً أحد هذه المجالس — ثم يبادر الى نسبة ما يحلو له من الأقاويل والتفاسير والنيات الى من أدخل فى حسابه مناوءتهم ، وهم بصفة خاصة أعضاء (جمعية أبولو) ! وكل ذلك فى عجرفة عجيبة لا تُنتظر من أديب شاب مثله يعيب على غيره الغرور فى حين أنّ غرور سواه أو اعتداده بنفسه لا يقاس بصلفه هو ! والأديبُ الذى يتصرف مثل هذا التصرف

يجرّد نفسه من أخصّ صفات الأدب ، ويدعو الأدباء الى الانصراف عنه وتحاشى مجلسه ، لأنه بمثابة الجاسوس الملفق الذى لا يؤمن جانبه .

على أني بالرغم من كل هـذا أرى أن الأحرى بمثل سـيد قطب الذى أحببتُ شعره الجيد وحمدتُ لمجلتكم التنويه به بين مَنْ نوّهَتْ بهم من شعراء الشباب أن يصون قلمه عن هذه الصبيانيات التى لا تليق بأديب ناشىء مثله . وله بعد هذا أن يثق بأني ما كنتُ أكتب هذا العتاب الصريح لولا محبتى لشعره الطريف ولولا أن كثيرين يشاركوننى فى هذه المؤاخذة له ، وهو حرّ بعد هـذا فى الاستمتاع الى هذا النصح الخالص أو ضمّ اسمى الى أسماء من شتمهم من قبل وأساء الى مودتهم وحسن ظنهم به ؟

السيد عطية شريف

ناجى الشاعر

فى كلمةٍ وجيزة دقيقة عبّر الاديبُ الناقد محمد عبد الغفور أحسن تعبير عن إيماننا بناجى الشاعر العاطفى الممتاز ، كما عبّر عن شـعورنا الخـالص نحو الأدباء والشعراء عامة ، فاننا لا نحب المفاضلات والمنافسات السخيفة كما لا نؤمن بالتوحيد فى الادب . والمتحدّث الى أعضاء « جمعية أبولو » لا يجـد بينهم إلا اتفاقاً فى المبادىء الفنيـة العامة التى تساير حيوية الفن كما تماشى روحَ العصر ولكنه لن يجد تلك التحزبات الشخصية الممقوتة التى اشتهرت عن بعض الجماعات والفئات .
وانى كأحد المعجبين بناجى أرحّبُ فى الوقت ذاته بجهود سواه من الشعراء المنجبين وأرى أن خير الادب فى جماع تلك الجهود ، واعتبر من أفضل خدمات أبولو للأدب وللاخلاق أيضاً الدعوة الى احترام الجهود الادبية المنوّعة فى الاجواء الفنية الملائمة لـكلٍّ منها ، سواء أكانت لاعضائها أم لغيرهم ، فالفن فوق كل اعتبار شخصى ؟

حسن كامل الصيرفى

بين القديم والجديد

لم أختلط بجمع من شعراء أبولو الا وجدتُ الغيرة القوية على تراثنا الادبيّ العربيّ ماثلة فى أحاديثهم ، ولم أجد فرداً منهم شذَّ عن الدعوة الى دراسة القرآن الشريف والأحاديث النبوية ونهج البلاغة وروائع الأدب العربي عامة دراسة فنية عميقة ، ووراء ذلك إيمانٌ عميق بعظمة العروبة وآدابها . وهذا الشعورُ القويُّ من رجال المدرسة الحديثة يعزز رأيي فى أنه لا يوجد فارقٌ أصيل بين القديم والجديد فى الادب ما دام أدباً صحيحاً ، وانما الفرق يعود الى أن المدرسة الحديثة عالميةُ الروح بينما مخالفوها ضيقو الافق محدودو الثقافة ، وهم بهذا الحصر لا يخدمون الأدب العربيَّ وإن توهموا ذلك ، وكم لهم من زلات حتى فى معرفة فلسفة الألفاظ الأدبية وأسرار تطوّرها جيلا بعد جيل ، فتجدهم يتحدثون عن ماء الشعر وديباجته وقوته وما الى ذلك حتى اذا جاءوا هم بتطبيق تلك النصائح لم نجد منهم الا هراء فى هراء !

وبالأمس كنت أقرأ لاحد الشبان المتأثرين بتلك الروح الرجعية فأدهشنى أن يؤثر شاعر البادية المرحوم الشيخ عبدالمطلب على نفر من زملائه الشعراء المعاصرين وبينهم مَنْ هو فى عداد أساتذته ، ولست أدرى : أهذه رجعية صرفة أم حُبٌّ للتبعية وبُغضٌ للاستقلال الفنى الذى يجب أن يتوفَّر فى النشأة الجديدة ؟

محمد عبد الغفور

نقد عروضى

(١)

الى الشاعر الصيرفى

أبيات الرياشى مستقيمة عروضاً ، وثالثها فيه ضعف كما قال المقتطف والى حضرتك البيان :

بحر التقارب

بَعْدَ	قليلهِ	أتى كا	هِنٌ	يُضِىءُ	شُمُوعَ	وَيُذْكِى ل	بخورا
عولُ	فعولن	فعولن	فَعَلْ	فعولن	فعُولُ	فعولن	فعولن

وَيَتْلُوصْ	صَلاةَ	على نَدْ	شِهِوَهـ	وَجَاشِ	يُناجي لْ	إِلَـهَ لْ	غفورَا
فَعُولُنْ	فَعُولُ	فعولن	فعولن	فَعُولن	فعولن	فعولن	فعولن

وَمَا كَا	نَ فِي لَخْ	ـهِ شِ	بَعْ	ولا كا	نَقْتَلْ ضْ	ضَعِيفِ ضْ	طِرَارَا
فعولن	فعولن	فعولُ	فَعَـل	فعولن	فعولن	فعولن	فعولن

موطن الضعف

بحر المديد

سَمِعَتْ رَبْ	بَاتُ لْ حِجَا	لِ إِلَيْهِ	يَتَغَنَّى	بِحُسْنِهَا	وَتَجِيدُو
فعلاتن	مستفعلن	فعلاتن	فعلاتن	مفاعلن	فعلاتن

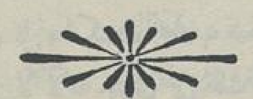
ثم تقول حضرتك عن المقتطف « فقفل بابه » ولفظة « قفل » اذا كانت مشددة الفاء فهي صحيحة ، والا فالصواب أقفل . والسلام عليكم ورحمة الله ؟

(٢)

الى الشاعر طلبة محمد عبده

عبتَ على العقاد قوله : « وفيتمو سهمي » فقلت : « لأن السهم يصوبه صاحبه ولا يوفيه » والمعنى الذي تذهب حضرتك اليه أورده العقاد في بيت آخر (من القصيدة نفسها) فقال : « ... إني أراه على مدى سهم » وأما هنا فهي مرادفة للفظة « نصيب » — قال تعالى : وإنا لمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ منقوص . ثم قلت : « وهب أن علم البيان الخ » « وأن » لا تأتي بعد « هب » مطلقا ؟

عبد العزيز مصباح





وليم هازلت

١٧٧٨ — ١٨٣٠

وليم هازلت هو أحد أفذاذ الانجليز الذين ظهروا فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، والذين لعبوا دوراً هاماً فى تهذيب الأدب الانجليزى والسمو به الى درجة قلما تجد لها مثيلاً فى سائر عصور الأدب الانجليزى . فقد كان هازلت ناقداً نافذ البصيرة ، وكاتباً من أرقى طراز ، وصحافياً لا يشق له غبار ، وفناناً نابغاً .

وكان الى جانب ذلك وطنياً متحمساً ومصلحاً صادقاً تشبع بمبادىء الثورة الفرنسية وامتزجت الحرية بدمه فعبد روسو وقدس نابليون .

ولا يتسع لى المجال لأن أتحدث عن تلك الشخصية العظيمة المتشعبة النواحى ولكنى أرى لزاماً على أن أذكر شيئاً ولو بسيطاً عن هازلت كناقد قد يعين القارىء المثقف على فهم تلك القطعة التى كتبها عن الشعر .

لقد فهم هازلت الفن وكتب فيه الكتب التى تكشف لنا عن تلك الملكة القوية الفعالة التى وقفت على أسرار الفن العميقة والتى تدل على فهمه واحاطته بكل أنواع الجمال ، ولكنه كسائر الكتّاب الرومانتيك قد عنى قليلاً أو لم يعن مطلقاً بالتفسير الفلسفى للفنون .

وقد حاول فى كل كتاباته أن يكون أميناً مع نفسه فلم تعوزه الشجاعة ليتحدث بصدق عما شعر ورأى .

وإن كان هازلت لم يعدُ فى كل ما كتب تجارب شعوره الخاص فهو على أى حال قد تحدث عما أحب من الصور لا لأنه جرى على تلك العادة التي تغرم بنوع خاص منها ، أو لأنه رآها فى معرض الجمال ، ولكن لأنه أحبها .

وقد أغرم بالمسرح الذى يقول عنه : « نحن نحب المسرح لأننا نحب أن نتحدث عن أنفسنا ، ونحن لا نحب شخصاً لا يحب الروايات التمثيلية »

وإن كان هازلت يخالف النقاد الذين أتوا بعده والذين جاءوا بنظريات ثابتة فى النقد متأثرين بالفلسفة التجريبية ونظريات التطور العلمى الحديث التى مسَّت كل أنواع العلوم ولم تترك الأدب دون أن تصيبه ببعض الشرر ، والتى كان من أثرها تحديد البيئة واظهار مقدار تأثيرها فى الشاعر أو الكاتب ، إلا أنه لم يعدم قوة التمييز الدقيقة التى ربما كانت أولى صفات الناقد الحاذق، ولقد توفرت لهازلت صفات أخرى لم تتوفر فى أى ناقد آخر، فقد أحبَّ الشعراء والكتاب حباً عميقاً وانكبَّ على دراسة مؤلفاتهم حتى أصبحت عباراتها مألوفة عنده تجرى على لسانه كما تجرى آيات الكتاب على لسان الواعظ .

وقد يؤخذ عليه إسرافه فى هذا الحب الذى ربما أبعده قليلا عن الوقوف على نقائص الشاعر أو الكاتب المنقود .

وطريقته فى نقد شخص أو كتاب هى أن يخبرنا عن كيفية حبه أو كراهيته له ، وفى كل نقده يحاول أن يوقفنا على انجابه الشخصى بهذا الشاعر سواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر .

أما تلك القطعة التى أعرضها أمام القارىء فهى محاضرة ألقاها هازلت عن الشعر عاماً ، وهى زعيمة بايقافنا على رأى هازلت فى الشعر الذى كان كل حياته. وقد أفاض هازلت فى شرح ماهية الشعر لأنه موضوع قلما أحاط به شخص ممن كتبوا فيه : وكما أن هازلت كان رجل حسٍّ وشعور فهو لم يرض أن يخضع الشعر لصور الكلام أو قوانين العلم .

إن هذا الموضوع دقيق التركيب فى أصله فهو ليس تأريخاً للشعر ولكنه تحليل لعناصره الجوهرية ومحاولة للكشف عن أسراره الخفية والوقوف على ما فيه من روعة وجمال ، فهو موضوع يعالج عنصراً هاماً من عناصر وجودنا بل بكل عناصره فوجودنا شاعر وحياتنا شاعرة .

فلا غرابة إنْ دقَّ التعبير فى بعض المواقف أو خفى المعنى وراء الكلمات أحيانا فان هذا راجع إلى سمو الفكرة ودقة التعبير عنها ، ولأن الكاتب قد أورد تشبيهات واستخدم تعبيرات يألفها القارىء الانجليزى ولا يألفها القارىء العربى .

***

الشعر

للـكاتب والناقد الانجليزى الشهير وليم هازلت

«إن أصدق تعريف يمكن أن أعرّف به الشعر هو انه الصورة الطبيعية لأى غرض أو حادثة ، فان قوته تولد فى الخيال والعاطفة حركة غير إرادية وتبعث رخامة فى الأصوات المعبرة عنها ...

وفى معالجة هذا الموضوع « الشعر » سأتـكلم عن موضوعه أولاً ، وعن صور الافصاح التى يبعثها ثانياً ، وعن ارتباطه بموسيقى الصوت بعد ذلك : فالشعر لغة الخيال والعواطف ، فهو يتصل بكل شىء يبعث لذة أو ألماً فى الانسان وهو يستقرّ فى صدور الناس وأعمالهم لأنه ما من شىء يستقر فيها فى أعم وأوضح صورة إلا ذلك الذى يمكن أن يكون موضوعاً للشعر ، والشعر هو اللغة العالمية التى تصل القلب بالطبيعة .

وإن الذى يمتهن الشعر ويحطّ من قدره لا يمـكن أن يقدر نفسه كثيراً أو يقدر أى شىء آخر ، فهو ليس مجرد عمل تافه كما يتوهم البعض أو نوعاً من التسلية زهيداً لبعض القراء الخاملين فى ساعات الفراغ ، ولـكنه دراسة للانسان وبهجته فى سائر العصور .

ويظن كثير من الناس أن الشعر شىء يوجد فى الـكتب فقط ، فى تلك السطور المقفاة والموزونة ، ولـكن حيثما توجد حاسة الجمال أو القوة أو الموسيقى كما فى حركة موجة البحر أو فى نموّ الزهرة التى تنشر أوراقها العطرية فى الهواء وتـكرّس جمالها للشمس يوجد الشعر .

فليس الشعر فرعاً من فروع التأليف ولـكنه المادة التى تـكوّنت فيها حياتنا ، أما سواه فشىء منسىّ وخطاب مدفون لأن كل شىء يسمو فى الحياة بمقدار ما فيه من الشعر .

الخوف شعر ، والأمل شعر ، والحب شعر ، والـكراهية شعر ، والارادة والحقد وتأنيب الضمير والاعجاب والجلال والرحمة واليأس والجنون محلّ هذه شعر . فالشعر هو أدقّ أجزائنا الداخلية وهو الذى يوسع ويرقق ويهذب ويسمو بوجودنا .

فبدونه كانت حياة الانسان تعسة كحياة الحيوان الأعجم . والانسان حيوان شاعر ، وأولئك الذين لا يفقهون نظريات الشعر وقواعده يسيرون عليها فى جميع شئون حياتهم كمثل Bourgeois Gentilhomme لموليير الذى كان يتكلم النثر دائماً دون أن يعلم بذلك .

والطفل شاعر فى الحقيقة عند ما يبدأ فى لعبة الاختفاء والبحث أو يستعيد قصة جاك القاتل الجبار ، والراعى شاعر عند ما يشرع لأول مرة فى تتويج سيدته بإكليل من الأزهار . والريفى عندما يقف يشاهد قوس قزح ، والصانع الصغير عندما يتأمل فى الورد العظيم . والبخيل عند ما يعانق ماله ، ورجل البلاط الذى يبنى آماله على ابتسامة ، والهمجى الذى يلطخ معبوده بالدم والعبد الذى يعبد سيده وسيده الذى يظن نفسه آلها ، والمعجب بنفسه والطموح والمتكبر والرجل السريع الغضب ، والبطل والجبان ؛ الشاب والكهل . كل أولئك يعيشون فى دنيا من خيالاتهم . وليس للشاعر عمل أكثر من أن يفصح عن أفكار وأعمال الآخرين .

ولو كان الشعر حلماً كانت الحياة حلما كذلك ، ولو كان خيالاً جاء من وضع الأشياء كما نرغب ، فلا توجد هناك حقيقة أصدق وأفضل . فاريستو قد وصف حب ميدورو وانجيليكا ، ولكن ألم يكن ميدورو الذى نقش اسم حبيبته على قشور الأشجار كثير الافتتان بمحاسنها كما وصفه اريستو ؟ وقد أظهر هو ميروس غضب اخيل ولكن ألم يكن البطل مساوياً الشاعر فى جنونه ؟

وقد أبعد أفلاطون الشعراء من جمهوريته لئلا يفسد وصفهم للانسان الطبيعى انسانه الآلى الذى أوجده مجرداً من العواطف والميول لا يضحك ولا يبكى ، لا يحزن ولا يغضب ، لا يؤلمه أو يبهجه شيء ، ولكن هذا لم يكن إلا ضغثا أو وهما وان عالم هو ميروس الشعرى قد عاش أكثر من جمهورية أفلاطون الفلسفية .

فالشعر على ذلك محاكاة للطبيعة ، ولكن الخيال والعواطف جزء من طبيعة الانسان . فنحن نشكل الأشياء حسب رغائبنا وأوهامنا بدون الشعر ، ولكن الشعر أكثر اللغات تثبيتا لمبتكرات العقل التى تشتمل على عناصر المتعة والجمال . فلا الوصف المجرد للأشياء الطبيعية ولا الافصاح المحدود عن الشعور الطبيعى مهما يكن قوياً فعالاً يستطيع أن يحدد غاية الشعر وغرضه دون أن يسمو بالخيال . وضوء الشعر ليس مباشراً فقط ، ولكنه منعكس أيضاً . فبينما يكشف لنا

عن الشيء ذاته يلقى بأشعة متلألئة حوله . وان لهب العواطف باتصالها بالخيال تكشف لنا كوميض النور عن مواضع الفكر الداخلية وتتخلل فى سائر أجزائنا .

والشعر يمثل الصور كما ترتبط بصور أخرى غالبا ، أو المشاعر كما تتصل بصور أو مشاعر أخرى أيضا . وهو يبعث بروح الحياة والحركة الى العالم ، ويصف الحركة لا الجمود . وهو يحصر حدود الحس أو يحلل دقائق الفهم ولكنه يدل على خصب الخيال تحت تأثير عادى لأى غرض أو شعور .

وان الأثر الشعرى لأى شيء هو الاحساس العظيم المضطرب بالجمال والقوة الذى لا يمكن أن يبقى فى موضعه والذى يضيق بكل الحدود والذى — كما تميل النار للنار — يجدّ فى ربط نفسه بصورة أخرى من الروعة والجمال ، ويحفظ نفسه كما كان فى أسمى صور التخيّل ، ويخفف من ألم الشعور باللذة بالافصاح عنها .

ولهذا السبب كان الشعر فى نظر اللورد بيكون يتضمن معنى سامياً لأنه يسمو بالعقل إلى سماء الرفعة بترتيبه مظاهر الأشياء على حسب أهواء الروح بدلاً من اخضاعه الروح لمظاهر الخارجية كما يفعل العقل والتاريخ ... فهو اللغة الدقيقة للخيال .

والخيال هو تلك الملكة التى تمثل الأشياء لا كما هى فى ذاتها ولكن كما تتشكل بأفكار ومشاعر أخرى متباينة: نحن نشبه الرجل العملاق بالبرج لا لأنه يساويه حجماً ولكن لأن زيادة حجمه على نظرائه تولد بالتناقض شعوراً أعظم بالكبر والقوة مما يولده شيء آخر فى عشرة أمثاله مع نفس الابعاد . أما شعر المآسى الذى هو أقوى أنواع الشعر تأثيراً فهو يحاول أن يأخذ الشعور الى أسمى درجات الرفعة والثورة العاطفية ويفقد حاسة الألم الوقتى بالافراط فيه ويضعف الهلع والرحمة بالانغماس فيهما ، ثم يأخذنا إلى الوراء حيث الماضى ، وإلى الامام حيث المستقبل ويستحضر أمامنا كل حركة من حركات وجودنا ، أو كل غرض للطبيعة فى نظرة مستعادة ، وفى ذلك الدور السريع لهذه الحوادث ينتشلنا من أعماق البؤس إلى سعادة الأمل فى الحياة فعند ما يتحدث لير عن ادجار فى رواية King Lear لا شيء غير بنتيه الجاحدتين قد أوصله إلى هذه الحالة ، فما أكثر حيرته والتواء خياله ذلك الذى لا يمكن أن يستحضر ليتدبر كل سبب للبؤس من ذلك الذى هوى به وامتص كل حزن آخر فى نفسه ! فحزنه كينبوع تتفجر منه الآلام .

وما أبدع رجوع ذلك الانفعال النفسانى إلى عطيل ! وما أشد امتزاج الأسف واليأس فى حرارة آلامه عند ما يودع سعادته الزائلة فيقول :

أما الآن فوداعاً إلى الأبد !

وداعاً أيها العقل الهادىء المستقر . وداعاً أيتها السعادة !

وداعاً أيها الجند ذوو الخوذات المزدانة بالأرياش !

وداعاً تلك الحروب التي تجعل الطموح فضيلة !

وداعاً ! وداعاً أيتها الجياد الصاهلة ، والأبواق العازفة ، والطبول الداوية ، ومزمار الحياة !

وداعاً أيتها الراية الملكية !

وأنتِ أيتها الكبرياء والعظمة وساعات الحروب وداعاً !

وأنتِ أيتها الآلات المدمرة التي أهلكت أنفساً تئن أصواتها يوم النشور وداعاً !

ان مجد عطيل قد ذهب ولن يعود !

وكيف أن شعوره النفساني يزداد ويتضخم ويثور كتيار دافق في مجرى عميق عند ما يجيب تلك الشكوك التي حامت حول حبه الذي يعاوده فيقول :

« أبداً ، ياجو ! إن أفكاري الجهنمية ستخطو الى الامام ، ولن تنظر وراءها ولن تعود للحب . الوادع حتى يلتهمها ذلك الانتقام الفظيع » .

ثم تصل به الغيرة القوية إلى مدى عظيم فيقول منادياً الانتقام :

« وأنت أيها الانتقام الاسود الفظيع استيقظ من فراشك المخيف! وأنت أيها الحب سلم عرشك الذي تربعت عليه في مملكة قلبي !

الى الكراهية العنيفة » .

وحالة واحدة يثير فيها المنظر المسرحي عطفنا دون أن يثير تقززنا هي تلك التي تقوى الشر وتقوى أيضاً الرغبة في الخير ، وترقى إدراكنا للنعمة بأن تجعلنا نشعر بأهمية ما نفقده .

وعاصفة الشوق تكشف لنا عن أغنى أعماق الروح الانسانية، وكل حياتنا ومجموعة أهوائنا وأمانينا وذلك الذي نشتهي وذلك الذي نخاف تعرض أمامنا بطريق التناقض . وشدة العذاب السريع تبعث فينا شوقاً أكثر مدة وتمازجاً في الشعور أكثر اتصالا بعالم الخير وتجعلنا نغترف أكثر وأعمق من قدح الحياة الانسانية وتجذب خيوط

القلب وتفك الضيق الذى يحيط بهـا وتدعو ينابيع الفـكر والشعور الى مشاهد الرواية بعشرة أضعاف القوة .

ومع ذلك فاللذة التى نحصل عليها من الشعر الباكى ليست شيئاً ملازماً له كالشعر أو أى شيء روائى أوتخيلى ، وهى ليست نقصاً فى الخيال اذ تستمد مصدرها وأساسها من الحب العام ومن الثورة النفسية القوية . وكما يقول بيرك Burke : «يتجمع الناس لمشاهدة مأساة ولـكن إذا كان هناك فى أحد الشوارع المجاورة منظر لاعدام شخص فسرعان ما يخلو المسرح من المشاهدين ، ونحن نميل إلى ترك أهوائنا العنيفة عنـد قراءتنا وصفاً عن غيرنا ، وكذلك نميل لخلق ألم من مخاوفنا كما نسعد بآمالنا فى الخير فلو سئلنا لماذا نعمل هكذا كان الجواب لأننا لا نستطيع مساعدته أو تخفيفه .

فالاحساس بالقوة نظرية قوية فى العقـل كالاحساس ذاته وكحب اللذة مثلا . ومظاهر الرعب والاشفاق تولد نفس السلطان عليه كما تبعثه مظاهر الحب والخيال فمن الطبيعى أن نـكره كما نعجب ، وأن نفصح عن كراهيتنا ومقتنا كما نعبر عن حبنا واعجابنا .

والهوى العنيف يقودنا الى حيث يحب أو يعاف ، ليس لأننـا نحب ما نعافه ولـكننا نحب أن نغض الطرف عن كراهيتنا ومقتنا له ، وأن نملو عليه وأن نُعَمِّي رأينا فيه بذكاء حاد وتصوير مشبع وأن نجعله مرعبا لأنفسنا وأن نظهره للناس فى جميع مظاهر نقصه وأن نلبسه للحواس وأن نسميه باسمه وأن نـكافحه بالفـكر والعمل وندرع ارادتنا ضده ونعرف أردأ الأشياء لنناضله بها وننازله حتى النهاية .

والشعر يترجم عن ضمير الهوى وهو أقوى صور التعبير عن ادراكنا أى شيء سواء أكان مسراً أم مؤلماً حقيراً أم جليلاً مبهجاً أم محزناً . فهو أكمل مطابقة للصور والـكلمات على احساسنا بالشعور الذى نملـكه والذى لا يمـكننا أن نتخلص منه بأى حال . ذلك الذى يرضى الفـكر .

وهذا هو أساس الذكاء والتخيل ، المسلاة والمأساة ، الرزين والهائج . والخيال يعطى حرية مطلقة الى الأمانى المبهمة الملحّـة على الارادة بتشكيلها فى صور . نحن لا نريد أن يكون الشيء كذا ولـكنا نود أن يظهر كما هو لأن المعرفة قوة مدركة والعقل لم يعد فى هذه الحالة خدعة وإن وقع فريسة الرذيلة والحمق ، والشعر فى جميع صوره لغة الخيال والعواطف والتخيل . وما من شيء أسخف من ذلك

الصوت الذى يرتفع أحياناً من جانب أولئك النقاد الجفاة الأدعياء بإخضاع روح الشاعر الى مقياس الذوق العام والعقل لأن غاية الشعر وثمرته - قديماً وحديثاً - كانت ولا تزال مرآة الطبيعة التى ترى بوساطة العاطفة والخيال فلا تظهر بوساطة الصدق الخالص أو العقل الدقيق .

دع ذلك الشاعر الذى يريد سلب الطبيعة ألوان التخيل وأشكاله ، فالشاعر ليس مطالبا بذلك ، وتأثيرات الحس العام والخيال القوى ، أى خيال الهوى الجامح وعدم الاكتراث ، لا يمكن أن تتشابه وينبغى أن تكون لها لغة خاصة بها فتعدل بينها . . . والأشياء تؤثر فى العقل تأثيرات متباينة بعيدة عن قيمتها فى نفسها على حسب حالنا فيها من فوائد مختلفة ، وكما نراها فى وجهة نظر أخرى وقربها وبعدها من الجدة والابتكار أو بمقدار إلمامنا بها أو جهلنا لها . . . أو من تخوفنا من نتائجها أو من تناقضها أو شكلها المفاجىء . فنحن لا يمكننا أن نبعد عنا مملكة الخيال أكثر من أن نرى جميع الأشياء بدون ضوء أو ظل . فبعض الأشياء يخطف أبصارنا بنوره القوى الأخاذ والبعض الآخر يستولى على جميع مشاعرنا ويحاول أن يجمل دهشتنا تفصح عن غموضه ، فأولئك الذين يبددون هذه الأوهام المتباينة ليقدموا لنا عوضاً عنها شكلها العادى ليسوا من سداد الحكمة فى شىء .

دع العالم الطبيعى يحمل — إذا أراد — الحشرة التى تدعى (سراج الليل) فى صندوق الى منزله ثم ينظر اليها فى اليوم التالى فلا يجدها الا حشرة رمادية اللون .

ولكن دع الشاعر أو محب الشعر يزورها فى المساء عند ما تشيد لنفسها قصراً من النور الزمردى تحت فروع السوسن العاطرة وأشعة الهلال الباردة ، فهذا جزء واحد من الطبيعة أو جانب واحد قدمته تلك الحشرة ولكن ليس أقلها متعة أو فائدة .

كذلك الشعر جزء من تاريخ العقل الانسانى وإن لم يكن علماً أو فلسفة ، وعلى ذلك لا يخفى أن تقدم المعرفة والتهذيب يميل الى الاحاطة بحدود الخيال وإلى اهاضة أجنحة الشعر ، ومملكة الخيال تخيلية فى أصلها فهى العالم غير المعروف غير المحدود ، والفهم أو الادراك يعيد الأشياء الى حدودها الطبيعية ويجردها من دعاويها التخيلية . كذلك الحال فى تاريخ الحماسة الدينية والسياسية وكلتاهما قد نالتهما صدمة

من تقدم الفلسفة التجريبية فان الذى يوجد الخيال هو العالم غير المحدود ونحن يمكننا فقط أن نتخيل ما لا نعرفه كما ننظر فى تيه غابة متشاكلة الأغصان فنملؤها بما نشاء من الأشكال من حيوانات ضارية ومغاور خربة وأماكن موحشة . وكذلك شأننا فى جهلنا بالعالم المحيط بنا نضع آلهة وشياطين من أول شبح يظهر لنا ولا نجعل حدوداً لرغائبنا القوية من آمال وأهوال وتصورات كما تراها عيون الشعراء عالقة فى كل ورقة ممسكة بكل فرع . فلن يتكرر حلم يعقوب فمنذ ذلك الحين والسماوات قد ذهبت بعيداً وأصبحت تابعة لعلماء الفلك يدرسون نظامها ولم تعد صالحة للخيال . وليس تقدم المعرفة العلمية فقط هو الذى يناهض روح الشعر ولكن التقدم الضرورى للمدنية يناهضه أيضاً ، ولكن لا ينبغى أن نكون أقل تخوُّفاً من العالم الذى فوق الطبيعة ، ولكنا نستطيع أن نكون أكثر ثباتاً وننظر الى هذا الطريق المنظم نظرة أقل اكتراثاً . فأبطال عصور الخرافات قد خلّصوا العالم من الوحوش والجبابرة ، والآن نحن أقل عرضة لتقلبات الخير والشر أو إلى غارات الوحوش الكاسرة أو فتك اللصوص أو الى الغضب الثائر لعناصر الطبيعة وأين الزمن الذى يقشعر فيه شعرنا المسبل من مقال عنيف قوى فيهزنا هزّاً كما لو كانت حياتنا فيه . ولكن نظام المدنية أفسد كل ذلك فلا يمكننا إلا بجهد أن نتصور قتلاً فى منتصف الليل .

فكبث لم يسمح بها فى هذه المملكة - انجلترا - الا لموسيقاها الجميلة ، وفى الولايات المتحدة حيث نظريات الحكومة الفلسفية قد بلغت شأواً بعيداً نظرياً وعملياً نجد أن أوپرا الشحاذين قد أبعدت عن المسرح وتطور المجتمع تدريجياً الى آلة تقودنا فى طريق سهل مريح .

وهذه الملاحظات التى أوردناها تقودنا الى حد ما الى حل مسألة الميزات النسبية للتصوير والنحت ، وأنا لا أقصد الى تفضيل أحدهما على الآخر ولكن يجب أن يظهر أن النقّاش الذى قام أحياناً بأن التصوير يجب أن يكون تأثيره فى الخيال أقوى لأنه يمثل الصورة فى درجة أوضح لم يثبت للبحث تماماً .

ويمكننا أن نقول بدون اعتساف كثير إن الشعر أكثر شاعرية من التصوير فعند ما يتحدث الفنانون عن قواعد الشعر فى التصوير يظهرون أن حظهم من من معرفة الشعر قليل وأن حبهم للفن ليس بالكثير ، فالتصوير يعطى الشىء نفسه

والشعر يبرز ما يحيط به مهما تكن درجة ارتباطه به ولكن هذا الأخير داخل في مملكة الخيال .

ثانياً من حيث علاقتها بالعاطفة : التصوير يصوّر الحادثة ، أما الشعر فيصور تطور الحوادث ، ففي أثناء التطور وفي فترة الانتظار والترقب عند ما تصل آمالنا ومخاوفنا الى أقصى درجات الالم النفسي نجد موطن الجمال الفني ، ولكن بمجرد ما تنتهي الصورة ينتهي كل شيء . والأوجه هي أحسن أجزاء الصورة ولكن هذه الأوجه نفسها ليست تلك التي تذكرنا بأحسن أنواع لذاذاتنا ، ولكن ربما يسأل سائل ألا يوجد أفضل من مناظر Claude Lorraine أو رسوم Titian أو صور Raphael أو تماثيل اليونان ؟

أما عن الاثنين الأولين فلا أقول شيئاً فهما الى التصوير أقرب منهما الى الخيال . وأما صور روفائيل فهي لا شك أبدع الشروح التي عملت للكتاب المقدس ، ولكن هل كان تأثيره يكون كذلك في حالة عدم معرفتنا بالكتاب المقدس ؟ ولكن العهد الجديد وجد قبل الصور - بيد أنه يوجد موضع لم تعمل له صورة وهو صورة المسيح وهو يغسل أقدام تلاميذه في الليلة السابقة لصلبه ولكن هذا الجزء لا يحتاج الى شرح .

أما تماثيل اليونان فهي أقل من الاشكال الأصلية ، فهي رخام الحس والقلب ولكنها لا تدل على شيء في داخلها ، فهي في جودتها التامة تحمل الكفاية لنفسها ولجمالها فقد سمت فوق العزم الضعيف والارادة الواهنة في اللذة والألم . وقد عبدت لجمالها ولكنها لا تحمل فيها عقيدة دينية . وأشكالها أقرب الى الانسانية العادية ويظهر أنها لا تشفق علينا وأنها في غنى عن اعجابنا بها . والشعر في جوهره وشكله وصف أو شعور طبيعي قد امتزج بالعاطفة أو الخيال ، وفي أثناء سريانه يمزج الفائدة الملموسة باللغة بالتعبير الموسيقي .

ولكن يوجد سؤال طال عليه السكوت ولم يجب : وهو في أي شيء يوجد جوهر الشعر ؟ أو ما الذي يحدد تعبير بعض الناس عن آرائهم نثراً والبعض الآخر نظماً ؟ لقد أوقفنا ملتون على رأيه في الشعر وهو : « الشعر هو الأفكار التي تثير فينا نغمات متوافقة ليست ضد ارادتنا » . وكما توجد أصوات خاصة تثير حركات خاصة أيضاً وكما يتفق الغناء والرقص معاً ، كذلك توجد من غير شك أفكار خاصة

تؤدى إلى نغمات خاصة فى الصوت أو فى ترخيمه ، وتغير كلمات عطارد الى أناشيد أبولو. ويوجد مثل قوى لهذا الضرب من ملاءمة حركة الصوت والوزن للموضوع فى وصف سبنسر للآلهـة مصطحبة Una إلى مغارة Sylvanus فى روايته Fearie Queene وعلى النقيض من ذلك فليس هناك شىء موسيقى أو طبيعى فى التركيب العادى للغة ، فهى شىء عُرفى أو اصطلاحى تماماً أو هى محض عرف أو اصطلاح وليس هناك فى الأصوات نفسها التى هى شارات ارادية لأفكار خاصة وليست داخلة بأنظمتها الأساسية فى الـكلام العام لنظرية المحاكاة الطبيعيـة صلة بالأفـكار الفردية أو بنغمة الشعور التى تصل بها الى الغير . وخشونة النثر وركاكته وهلهلته قاضية على فيض الخيال الشعـرى كما يشوش الطريق الـكثير النجاد والوهاد أو الجواد المتعثر أوهام المسافر المـكدود ، ولـكن الشعر يقضى على هذه الشواذ فهو موسيقى اللغة مجيبة لموسيقى العقل .

فحينما يوجد ذلك الذى يستحوذ على العقل بأن يجعلنا نتغلب عليه مذيبين القلب فى الرقة أو نضرم فيه شعور الحماسة ، وحينما تطبع حركة الخيال أو العاطفة على العقل الذى به تستطيل وتستعيد العاطفة ليصحب بعضها سائر الأغراض الأخرى ولتعطى نفس حركة النغمات المتفقة القوية المستمرة أو المتباينة تدريجياً — مراعاة للحال — إلى الأصوات التى تعبر عنها كان هذا شعراً . وهنـاك اتصال قريب بين الموسيقى والعاطفة العميقة فالمجانين ينشدون حالما يصل النطق عادة الى اللحن وعندئذ يبتدىء الشعر .

وعند ما تعطى فـكرة واحدة نغمة ولونا للأفـكار الأخرى وعند ما يذيب شعور واحد المشاعر الأخرى فيه فهناك لا يمكن السؤال لماذا لم تمتد نفس النظرية الى الاصوات التى بواسطتها يخرج الصوت بعواطف الروح ويمزج المقاطع والأسطر بعضها ببعض ، وبالاختصار فعند ما تأخذ لغة الخيال بعيداً عن الأرض وتمـكنها من نشر أجنحتها حيث يمـكن لها أن تتغاضى عن بواعثها الخاصة تسبح بملـكها السامى خلال طبقات الهواء دون أن توقف أو تـكاد أو تقف فى طريقها العقبات الفجائية وأدوار النثر المتنافرة ، فعندئذ يعرف الشعر ، فهو للغة العامة كالمحاور للعربة وكالأجنحة للأقدام .

فى الـكلام العـادي نصل إلى نغمة خاصة بتنغيم الصوت ، كذلك فى الشعر

بترتيب منظم للمقاطع ، وكل كاتب عنده طرق للوزن كثرت أو قلت إلا الشعراء الذين عند تجردهم من التركيب الآلى للشعر يظهرون بكتابة سلبية من الألحان .
ومن المسلم به أن القافية تساعد الحافظة فى عملها ، ولكن نظم پوب ممل من فرط عذوبته ووحدة الشكل ، وشعر شكسبير المرسل هو غاية ما تبلغه المحاورة التمثيلية من الجودة .

ولا يقف الوزن وحده للتفريق بين الشعر والنثر : فالالياذة لا تقف عن أن تكون شعراً - فى تعبير أدق - والنثر العام يختلف عن الشعر كأن يعالج فى معظمه إحدى هذه الحقائق المألوفة المبتذلة ، كأن لا يبعث للخيال بشىء جديد وإلا فباحدى عمليات الفهم الشاقة المضنية ، وكأن لا يرضى بتلك الارادة أو الحركات العنيفة للخيال أو الأهواء .

وسأذكر ثلاثة كتب تأتى قريبة من الشعر وإن لم تكن شعراً ، وهى : تقدم الحاج (سياحة المسيحى) وروبنسون كروزو وقصص بوكاشيو .

وقد ترجم تشوسر ودريدن بعضاً من الكتاب الأخير الى شعر مقفى ولكن جوهر الشعر وقوته كانتا فيه من قبل .

فذلك الذى يسمو بالروح بعيداً عن الأرض والذى يجرد الروح من نقصها بأشواق تجل عن الوصف إنما هو شعر فى النوع وهو يصلح عادة أن يكون كذلك فى الاسم بتزويجه بالوزن الخالد ، فمن خصائص الشعر أنه يثير الخيال ويقويه .

« فيوحنا بنيامين » و « دانيال ديفو » يمكن أن يسمح لهما بالمرور فى طريقهما فمزج الخيال بالحقيقة فى كتاب (سياحة المسيحى) لم يبارَ فى أى كتاب استعارى آخر .
فحجيجه علَوْا فوق الأرض وهم مع ذلك يسفّون .

وما أشدها حماسة وما أبدعه جمالاً وما أصدقه خيالاً وأعمقه شعوراً عند وصفه المسيحى وهو يعبر النهر أخيراً ! فيه تصويره أولئك الذين تسطع عليهم الأنوار الزاهية داخل الأبواب وعلى ظهورهم أجنحة وعلى رءوسهم أكاليل الورد وهم يمسحون الدموع من مآقيه .

ولكن ماذا نقول عن روبنسون كروزو ؟ وما عليك الا أن تأخذ خطبة البطل

اليونانى عند مغادرته مغارته — ومهما تكن جميلة — ثم اقرنها بتأملات الخاطر الانجليزى فى مكانه المنعزل القصى .

فالأفكار عن الوطن وعن كل ما انفصل عنه انفصالا" أبدياً تثور وتخفق فى صدره كما يرتطم تيار المحيط الصاخب بصخور الشاطىء ، وإن ضربات قلبه لا تزال تُسمع وسط ذلك المكون الأبدى الذى يحيط به .

ولأن قصة مخاطراته لا تنهض قصة كالاوديسا — فهذا حق — ولكن القاص" توفرت لديه عبقرية الشاعر الفذ ، وقد سئل عما إذا كانت روايات ريتشاردسن شعراً وربما كان الجواب هكذا : إنها ليست شعراً لانها ليست خيالية ، فالعطف الذى أثارته لم يكن ارادياً بل جاء متكلفاً . وما من شيء صدر عن النفس رأساً ، وهى فى حاجة الى كثير من المرونة والحركة . والقصة لا تعطى صدى لذلك المقعد الذى توّج عليه الحب ولم يفصح القلب عن نفسه كما يفصح الوتر فى الموسيقى .

ولم يَنْسَبْ الخيال أمام الكاتب بدون إعمال جهد فى ترقبه. ولكنه جُرَّ بعددٍ لا يحصى من الدبابيس والدواليب كتلك التى استخدمها أهل « لليبوتا » فى تقييد جليفر وجرّه الى القصر الملكى ! نعم يوجد صدق عظيم وشعور فى ريتشاردسن ولكن هذا قد أخذ من الظروف المحيطة ولم يأتِ من النفس . وشاعريته كروح آريل Ariel محصورة فى شجرة الصنوبر وتحتاج إلى عملية صناعية لتخرجها !

وكتابات برك ليست شعراً رغم ما فيها من قوة التصور الواضحة لأن موضوعها مبهم" غامض" جاف" صناعى وليس طبيعياً .

فالفرق بين الشعر والفصاحة هو أن الأول فصاحة فى الخيال ، والأخرى فصاحة فى الفهم أو الادراك . الفصاحة تحاول أن تستميل الارادة وتقنع العقل ، أما الشعر فيبرز تأثيره بمجرد الشعور البسيط . والشيء الذى يقبل النزاع لا يصلح أن يكون موضوعاً للشعر ، والشعراء فى الغالب كتاب نثر من النوع الردىء ، لأن صورهم وإن كانت حسنة فى نفسها فهى ليست كذلك فى الغرض ولا تتسع للمحاورة.

والشعر الفرنسى تنقصه صور الخيال ، فهو شعر تعليمى أكثر منه مسرحياً .

وبعض شعرنا الذى نال كثيراً من الاعجاب هو شعر فى الوزن فقط وفى الفائدة المعروفة من العبارة الشعرية .

وسأختم هذه الإلمامة ببعض الملاحظات على أربع من المؤلفات الشعرية المشهورة فى العالم فى عصور متفاوتة ، وهى : مؤلفات هوميروس ، والتوراة ، ودانتى . ودعنى أضيف لهذه Ossian :

ففى هوميروس نجد نظرية الحياة وعملها ظاهرة ، وفى التوراة نظرية العقيدة والإيمان وفكرة العناية الآلهية ، وفى دانتى تشخيص للارادة العمياء ، وفى أوسيان تدهور الحياة ونهاية العالم . وشعر هوميروس بطولى : فهو مملوء بالحياة والعمل وهو لامع كالنهار قوى كالنهر ، وهو يكافح بقوة ذهنه جميع أغراض الطبيعة ويدخل فى كل ما له مساس بالحياة الاجتماعية ، فقد رأى هوميروس كثيراً من الأقطار ووقف على أخلاق كثير من الرجال وجمع كل هذه فى قصيدته .

فهو يصف أبطاله ذاهبين الى المعركة غير مبالين بحياتهم هابين بتأثير قوتهم الجسمية ، فنراهم أمامنا بكامل عددهم ونظامهم الحربى فى السهل ، والكل متحل بأوسمة الشرف كالنعام وكالطيور الحديثة الاستحمام ، لاهين كالمعز ، جفلين كصغار العجول ، مملوئين شباباً كشهر مايو ، مغمورين بالجمال والبهاء كالشمس فى منتصف الصيف ، مغطين بالسلاح البرّاق وبالتراب والدم بينما تشرب الآلهة شرابها النفيس فى أكواب من ذهب ، وقد اجتمع الشيوخ على أسوار طروادة يحيون هيلين وهى تمر بهم . وإن تجمع هذه الاشياء فى هوميروس عجيب رائع فى بهائه وصدقه وقوته وتنوعه ، وشعره كدينه شعر الرقم والصورة : فهو يصف الأجسام كما يصف أرواح الرجال ، وشعر التوراة هو شعر الخيال والايمان : فهو معنوى غير مجسّد ، وهو ليس شعر الصورة ولكنه شعر القوة . ليس شعر الكثرة ولكنه شعر العظمة فهو لا ينقسم الى كثير ولكنه ينظم الى واحد . وهو ليس شعر الحياة الاجتماعية ولكنه شعر الوحدة . فكل انسان يظهر وحيداً فى العالم لا يعيش إلا مع العناصر الأولية للطبيعة : الصخور والارض والجو . وهو ليس شعر العمل أو حياة البطولة أو المخاطرة ولكنه شعر الايمان بالعناية الآلهية السامية والتسليم الى تلك القوة التى تدبر هذا العالم .

وكما أن فكرة الله قد أبعدت كثيراً عن الانسانية وعن فكرة القول بكثرة الآلهة فقد أصبحت أكثر تغلغلاً كما أصبحت أكثر عمومية لأن غير المحدود حال فى كل مكان : فلو طرنا الى أقصى أجزاء الأرض نجده هناك أيضاً ، واذا يممنا شطر الشرق أو شطر الغرب لا نستطيع الافلات منه ، وعلى ذلك لقد عظم الانسان فى صورة خالقه .

وتاريخ البطارقة من هذا النوع فهم المؤسسون لنوع مختار من الناس والوارثون

لهذه الأرض وهم يعيشون فى الأجيال التى تتلوهم ، وشعرهم كعقيدتهم الدينية فسيح غامض غير محدود فيه تخيّل وتظهر فيه يد خفية .

وروح الديانة المسيحية توجد فى هذا المجد الذى سيكشف فيما بعد .

ولكن فى الناموس العبرى أخذت العناية الالهية حظاً مباشراً فى أعمال الحياة .

وقد ظهر حلم يعقوب من تلك الصلة القوية بين السماء والأرض وقد كانت هى التى أنزلت سلماً على مرأى من البطريق الشاب من السماء الى الأرض بملائكة يصعدون وينزلون عليه وقد سكبت نوراً وهّاجاً لن يخبو على المكان المنفرد .

وقصة « راعوث » تظهر كأن جميع ما فى الأصل الانسانى من شوق طبيعى قد طوى فى صدرها وفى كتاب أيوب كثير من الأوصاف أكثر إسرافاً من التصوير وأكثر حدة فى العاطفة من أى شىء فى هوميروس كوصف حالة سعادته وعزّه والرؤيا التى جاءته ليلا . والاستعارات فى العهد القديم أقوى بياناً وقد تجمعت تلك الأشياء فدفعت الخيال أمامها ، وقد كان دانتى أبا الشعر الحديث ، وعلى ذلك يحق له أن يحل مكاناً فى هذه الحلقة . فقصيدته أول خطوة واسعة منذ الظلام القوطى وعهد الهمجية . وجهاد الفكر فيها للقضاء على العبودية التى كبلت العقل الانسانى أجيالاً عدة يظهر فى كل صفحة ، فقد وقف دانتى وحيداً غير هيّاب ولا وَجِل على ذلك الشاطىء المظلم الذى يفصل العالم القديم من العالم الحديث ورأى أمجاد القديم بازغة من خلال وهدة الزمن بينما أبان الالهام عن جانبها الى العالم الآخر وقد تملكه الدهش مما رآه أمامه وقد تجاسر على مباراته .

ويظهر أن دانتى مدين للتوراة بنغمة الحزن فى فكره وبغضبه الذى يشبه غضب الأنبياء والذى سما بشعره وأضرم ناره، ولكنه يخالف هوميروس كل المخالفة فذكاؤه ليس لهباً متلالئاً ولكنه حرارة أتون متقد فهو قوة وعاطفة وارادة مشخصة .

وكل ما يتصل بالجزء الوصفى أو التصورى من الشعر لا يحتمل مقارنة بكثير من الذين سبقوه أو من الذين أتوا بعده ، ولكن توجد فى آرائه أشياء معنوية قائمة كالثقل الميت على العقل : فذهول مخدّر ، ورعب من حدة التأثير ، وغموض مخيف كالذى يضايقنا فى الأحلام ووحدة المنفعة التى تشكل كل شىء تبعاً لرغائبها وتلبس كل الأشياء بأهواء وخيالات الروح الانسانية . كل هذه تعوضنا عن كل نقائصه الأخرى . والأشياء المباشرة التى يقدمها للعقل ليست كثيرة فى ذاتها فهى فى حاجة الى الروعة والجمال والنظام ولكنها أصبحت كل شىء بواسطة قوة شخصيته التى طبعها عليها ، فعقله يعير قوته الخاصة الأشياء التى يتأملها بدلا من أن

يستعيرها منها . وهو يغتنم الفرصة حتى من موضوعه المتجرد المقفر . وخياله يعمرُ ظلال الموت ويفرخ فى الهواء الصامت . وهو أشد الكتاب صرماً وأكثرهم شدة ومناعة وأعظمهم تناقضاً للشىء المزهر اللامع الذى يعتمد غالباً على قوته الخاصة والشعور بها فى الآخرين والذى يترك فضاء عظيم الاتساع لخيال قرائه . وغاية دانتى الوحيدة هى أن يفيد ويرغّب ، وهو يفيد بإثارته شعورنا بالعاطفة التى يدين لها هو نفسه .

فهو لا يقدم لنا الاشياء التى أوجدت العاطفة ولكنه يمسك بقوة انتباهنا باظهاره لنا الاثر الذى تبعثه فى أحاسيسنا . وشعره يعطى تبعاً لذلك نفس الحس الغامر كل شىء . وعدم احتمال وقوع الحوادث والمفاجأة وعدم التغير فى الجحيم بالغة الحد ولكن الفائدة لن تضعف ابداً الغيرة الدائمة فى عقل المؤلف ، وقوة دانتى الرائعة توجد فى مزجه المشاعر الداخلية بالمظاهر الخارجية . لهذا كان باب جهنم الذى كتب عليه ذلك النقش الباهت يظهر أنه وُهب الكلام والادراك وأنه يلفظ تحذيرها المروع بالشعور بالآلام الفانية . وسأذكر كاتباً آخر لا يمكننى أن أستميل نفسى لتظن أنه حديث خالص فى الاصل وهو « أوسيان » فهو شعور واسم لن يزولا من عقول القراء . وكما أن هومير أول من مثل القوة والبأس فأوسيان هو ممثل عصر هرم الشعر وفنائه فهو يعيش فقط فى الذكرى والتأسف على الماضى ، وهناك أثر واحد أظهره بجلاء دون سائر الشعراء الآخرين وهو الاحساس بالفاقة وفقدان كل شىء من أصدقاء واسم طيب ووطن . فهو يكاد يكون من غير آلة فى الحياة وهو يتحادث مع الأرواح الراحلة ومع السحب الثابتة الساكنة عندما يسكب نور القمر البارد لمعانه الذابل فوق رأسه ، وينظر ابن آوى خلسة من خلال الحصن المتهدم وأوتار قيثارته تظهر كأنها يد الدهر أو أن قصة العصور الأخرى قد أدركتها وهى تئن وتخشخش كأنها قصبات يابسة فى ريح الشتاء .

فالشعور بالخراب الموحش وفقد لب الحياة وفناء المادة والتعلق بظل جميع الأشياء قد صور تصويراً رائعاً .

وعلى ذلك كان انتخاب Selma لفقد Salgar أروعها جميعاً .

وإذا جاز لنا حقاً أن نعلن أن هذا الكاتب لم يكن شيئاً كانت هناك حالة واحدة لتعضيد ذلك ، فان خلوّه يتبعه فراغ فى القلب ثم حصر لذلك الشعور الذى يجعله يشكو دائماً قائلاً :

« أيتها السنين المظلمة السوداء أتمى دوراتك ولا تأت بفرح أو سرور على جناحك إلى أوسيان » ؟

نظمى خليل



الجمال والفن والشخصية

فى الطبيعـــة

لا أحاول فى هذا البحث اللذيذ أن أضع تعريفاً للجمال أو للفن ، لأن الجمال لا يُعَرَّف ، والفن اذا عُرِّف فقد روحه . واعتقد أن الذين عرَّفوا الجمال أو الفن لم يصلوا فى تعاريفهم الى روح الجمال ولا إلى جوهر الفن ، وكل ما انتهوا اليه أن أتوا بسمات للجمال وصفات للفن . وما أصدق الشاعر الفرنسى العظيم لامرتين الذى رمز للجمال دون أن يعرفه فقال :

« الجمال سر السماء . الجمال شعاع نورانى . الجمال رمز إلهى تتفقده العين وينجذب اليه القلب مثل ماتنجذب قطعة الحديد الى المغناطيس »(١). وما أصدق الشاعر الهندى المعاصر تاغور الذى وقف قلمه لا يحير تعريفاً للفن ، وهو مؤمن بأن التعريف يضيع عصير الفن ويذهب عنه الروح (٢) — ويكفى أن نقول إن الجمال هو :

كل ما استهوى العين ، وفتن الأذن ، ونفث العاطفة وأشرق بالذكاء والفن هو التعبير الحسى أو المعنوى عن تأثراتنا أمام كائنات الطبيعة الجميلة وغير الجميلة وأحداث الحياة المختلفة وأفعال الناس وأشخاصهم .

***

وهذا المعنى الواسع للجمال وللفن هو ما دار حوله هـذا المقال ، بمعنى أننا لم نقصر معنى الجمال على الجمال الحسى ، بل ضممنا اليه الجمال المعنوى وهو جمال الذهن وجمال الروح والعاطفة : ذلك لان الجمال الحسى إن عد جمالا من وجهة معينة ، فهو ليس جمالا بالمعنى الحقيقى العميق ، فالطاووس مثلا إن عدَّ جميلا للون ريشه الزاهى

(١) من شعر لامارتين فى « جوسيلان »   (٢) مقال لتاغور عن « الفن »

فهو طائر غبي ، وهذا مما يقلل من جماله ، والزهرة المونقة التي لا تزكو بالعبير هي جميلة في عين الرائي ، ولكنها ليست في جمال زهرة مماثلة تفوح بالعبير ، وكذا المرأة جميلة الخلقة اذا تجردت عن الخلق الطيب والعاطفة النبيلة انطفأ جمالها وسناؤها ، فالذكاء هو الضوء للجسم المتناسق ، والطيبة هي النسيم الذي يضفي على الجسم بهجته وحيويته ونشاطه . وهما في اعتقادي من ألزم العناصر المكونة للجمال الحقيقي .

***



مصطفى عبد اللطيف السحرتي

وهذا الجمال النبيل يرقد في الطبيعة التي هي في الواقع المثل الأعلى للجمال الحسي ومصدر الالهام للذكاء ، ووحي الخلق الطيب . والطبيعة أجمل من كل جمال فني أبدعته يد الانسان : فشروق الشمس وغروبها أعجوبة بالغة عجزت يد الفنان الى اليوم عن تمثيلهما ، والجبال الجبارة تعلو قممها الثلوج أجلّ من كل فن ، والمحيط الهائل أعظم من كل ما أظهره أيّ فنّان . وليس هناك فن خالد لم يُصِبْ الهامه من الطبيعة . وقد برزت آثارها بخاصة في شعر الشعراء ، وتأليف الأدباء والعلماء ، ونغمات الموسيقى ، ولوحات التصوير ، وأعمال المثّالين . فلقد وسم جوت الشاعر الالماني الطبيعة بأنها الفنانة المفردة ، وأن كل عمل من أعمالها له شخصيته القائمة ،

وكل مظهر من مظاهرها يحوز فكرة مفردة [١] . وهام الشاعر الأميركى أمرسون بمشاهد الطبيعة وانساب فى جمالها المنقطع النظير ، وغمس يده كما يقول [٢] فى أضوائها ، واستمتع فيها بالغروب وضوء القمر . وشدا الشاعر الانجليزى بيرون بمظاهر الطبيعة القوية فصوّر فى شعره الجبال الهائلة والبحار الصاخبة ، والشلالات المرغية المزبدة ، والزوبعة الداوية ، وتحدث عن أسرار الليل ورهبة ظلماته ، ومن آيات هذا التصوير الجليل قصيدته التى ناجى فيها المحيط بقوله :

Roll on, thou deep and dark blue ocean, roll !

وأطرفنا الشاعر الفرنسى برناردى سان بيير بوصف طبيعة المناطق الحارة ، وتحدث عن السماء ونبات جزر الهند . وأما الشاعر الرومانتيكى الكبير شاتوبريان فقد صوّر لنا صحارى أمريكا الواسعة وغاباتها الكثيفة بريشته المتفوقة الثرية المبدعة.

وتأثر الشاعر الاسكتلندى بيرنز بأحداث الطبيعة البسيطة فخاطب زهرة اللؤلؤ ، وفأر الغيط وغيرها . واندمج الشاعر الامريكى « ثورو » فى الطبيعة وشرب جمالها ، وعاش فى صحبة نباتها وحيوانها وأرضها وسمائها ومائها . وأحب كل مافيها من جميل وغير جميل ، ومضىء ومظلم ، ومبهج ومحزن ، وعرف حيل الثعلب وتحدث عن صرخة الغراب ، وهدوء البقرة الصغيرة الجميل ، ورزانة شجرة البلوط وغيرها .

واختلف بعض شعراء العرب الى الطبيعة فكان أبو تمام يتأثر بسرعة من الهامانها ويثبت تأثراته فى قصائده الفنية ، وأحبّ ابن الرومى الطبيعة ، وأحسّ بمرائيها إحساساً ذكياً . وكان الفرزدق [٣] ـ إذا صعبت عليه صنعة الشعر ـ يركب ناقته ويطوف خالياً منفرداً وحده فى شعاب الأرض ويطوف الأودية ، وكان كُثيّر إذا عسر عليه الشعر يطوف فى الرياض المعشبة والرباع المجدبة ، ولعل أبرز مَن تأثّر بالطبيعة من العرب وصَوَّرَ مشاهدها الخلاّبة هما ابن حمديس وابن خفاجه ، وهذا الأخير خاصة قد امتلأت عينه من جمالها عند شواطىء

---

(١) وهذا واضح فى انشودته النثرية الموسومة « بالطبيعة » التى كتبها فى سن الثلاثين . (٢) مقال إمرسون عن « الطبيعة » . (٣) كتاب « العمدة » لابن رشيق .

الجداول ، واستجلى الينابيع وفاءً إلى ظلال الأشجار وغيرها من مراعى الطبيعة الفاتنة .

***

أثرت الطبيعة بجمال مشاهدها على الشعراء والأدباء ، كما أثرت بأصواتها المتنوعة على مشاعر الموسيقيين ، فأغنية البلبل ، ونشيد الكروان ، وتغريد القبرة ، وترنيم اليمام ، وترجيع الحمام ، وزقزقة العصافير ، وموسيقى النهر الناعمة ، وهدير البحر الزاخر ، وخرير الجداول ، كلها وأشباهها أصوات بسيطة أوحت الى الموسيقيين تأليف النغمات المتجمعة المركبة . ومن شواهد ذلك أن الموسيقى العبقرى « بيتهوفن » كان يعيش دائماً فى صحبة الطبيعة ويجول فى مجاليها عارى الرأس من الفجر الى الليل وكان حبه لها حباً صادقاً حتى انه كتب مرة يقول : « لا أحد على الأرض أحب الطبيعة مثلى . انى لأحب الشجرة أكثر من الانسان » [١] واعتقادى أن عبقرية بيتهوفن الموسيقية ترجع الى أنه ملأ أذنه من أصوات الطبيعة السهلة ، وصانها فى سمعه ، ونقل هذه الاصوات الى فنه ، متزاوجة مع انفعالات قلبه وعواطفه النبيلة ، فانك لتسمع فى موسيقاه دوىّ العاصفة وهزيم الرعد ، ووقع المطر وأصوات الغابة المختلفة – وبهذا التجاوب الوجدانى الوثيق أمكن بيتهوفن أن يخرج أناشيده الموسيقية العذبة المشجية – ومن موسيقيي فرنسا البارزين الذين تجاوبوا مع الطبيعة نذكر برليوز Berlioz وهو من رُوَّاد الموسيقى الحديثة ، ومن عشاق الطبيعة والجوالين فى ربوعها ، وأنشودته « دعوه الى الطبيعة » التى أخذها عن فوست هى من آياته الفنية الخالدة وقد استهلها بتمجيد الطبيعة . يقول : Nature immense, impénétrable et fière وقد ناجى فيها الغابات والصخور والتيارات المائية الدفاقه ، وكتب معظمها فى عدة مواطن طبيعية من أوروبا ، وأتم باقيها فى باريس حيث كان يختلف الى حديقة التويلرى وهذه الانشودة من أجل وأفخم أناشيده وقد تلقى وحيها من الطبيعة الناطقة والصامته .

***

ولا يقتصر أثر الطبيعة على تزويدنا بالجمال المعنوى – الشعر والموسيقى – بل

---

(١) كتاب « بيتهوفن » تأليف الكاتب الفرنسى الشهير رومان رولان .

زودتنا بجمال مادى له قدره الفنى،ويبرز هذا الجمال فى فنَّىْ التصوير والنحت.وأثر الطبيعة فى التصوير بارز قوى، وأغلب كبار المصورين رجعوا الى الطبيعة ونقلوا عنها فمصور النهضة الكبير ليوناردو دافينشى الايطالى كانت حياته مع الطبيعة حديثاً متصلا وكان يزوّد صوره عن الاشخاص بمناظر الطبيعة . فانا لنراه فى آيته الفنية الفاتنة «الجوكوند» يرسم خلف شعرها منظراً طبيعياً ليضفى عليها البهاء والروعة والفتنة ، وقد جمل المصورون من بعده لوحاتهم بمرأى الطبيعة ، فالمصور الفرنسى الذى رسم صورة «جنفيف» توقظ باريز النائمة رسم عند قدميها أصيصاً من الأزهار ذات الاريج وفى أعلى الصورة رسم نور القمر المنبثق . وهذه الصورة الرائعة تزين صالة البانتيون مقبرة العظماء بباريس .

وعاش المصور الهولندى الكبير «رامبراندت» فى الطبيعة واعتبرها معلمته الكبرى وكان يسير فى ربوعها والريشة بيده ويعتبر من الزعماء الطبيعيين ومن آياته الفنية الرائعة لوحته :

La ronde de nuit

وهام المصوِّر الفرنسى ْواتو بالطبيعة ورسم كثيراً من مظاهر الاشجار العظيمة فى الحديقة والمياه النائمة وغابات القرية وتحدث المصور الفرنسى كوروت Corot فى القرن التاسع عشر عن الطبيعة بانفعال مؤثر وقد جال فى ربوعها وعاش فى حقول نورماندیا وغابة مونتنبلو واستمتع بمرأى السماء فى إيطاليا وكان دقيقاً فى تصوير المشاهد المختلفة ولو كانت تافهة :فهو لا يفوته رسم الدخان المتصاعد والأبخرة المتبددة الذاهبة إلى الأفق والتراب الذى تذروه الرياح ، ومن أبدع صوره الطبيعية صورة «الفجر الأسمر» . ولقد تحدث هذا المصور الى صديق له قال : «يمكننا سوياً أن نتأمل فى الطبيعة الطيبة بعض لحظات فهى تبدو جميلة وجذابة لكل من يبحث عنها» . وقد جرى فى وهمه أن نكبة سوف تطرق بابه فلم يكن يدور فى خده أن يجد ملجأ آخر غير الطبيعة فكتب يقول : «أظن أن سوء الحظ سيجبرنى على أن آوى الى قبة السماء والى الظلال الكثيفة وسيقعدنى الى موسيقى العصافير ! »

***

وفوق ذلك فقد استهم المثَّالون أشكالهم وتكوين تماثيلهم من الطبيعة .يقول

المثّال الفرنسى الشهير رودان Rodin : « انى لا أخترع شيئاً . انى لا أجد ثانية . أفكر وأحب رموزاً معينة ولدىّ الذوق المحلّل ، ولكنها الطبيعة التى حبتنى الذوق والمزاج » . ويرى رودان أن كل فن يخالف الطبيعة فهو فن ميت . وقد حاول أن يرسم حصاناً له رأس أكبر من الخلقة الطبيعية فوجده زرى الهيئة ضعيف الفن — وقد اتخذ رودان تماثيل بعض النساء من سيقان الأشجار الرشيقة المهذبة ، وقد رأينا كثيراً من المثّالين يلجأون فى تكوين تماثيلهم الى بعض كائنات الطبيعة . فان تمثال روسو البديع القائم فى هالة البانثيون بباريس يدل على تأثر المثّال أيما تأثر بالطبيعه فقد مثّل آراء روسو فى الطبيعة بسيدة ممسكة باقة من الزهر وإلى جانبها سيدة أخرى ممسكة بكتاب مفتوح تمثل فلسفة روسو والى جانبهما ثالثة فى جلسة رزينة تمثل الحقيقة الجادّة .

***

ولا يقتصر أثر الطبيعة على الجمال الفنى بل انها تؤثر فى شخصياتنا وتهبنا الجمال النفسى والفكرى . انها تتسامى بغرائزنا وتلطف انفعالاتنا ويطوف حولنا من روحها عواطف نبيلة ومن أعماقها تزورنا الافكار الصافية . فرأى قطيع الغنم يسير متجمعاً يقوى فينا غريزة الاجتماع والوحدة ، ومرأى النحلة الكدودة والنملة العاملة يحفزنا الى الاكتمال الغريزى ، ورؤية مياه النهر الصافية تشرح النفس ، ومشهد البحر يثير الايناس ، وبزوغ الفجر يدعو الى النفس الأنسَ والبهجة ، وهبوب العاصفة يحرك العجب والخوف ، ومنظر الزهور الحمراء ينبه الالتفات ويفتح العين ، وتلاقى السماء بالأرض على مدى العين يثير الدهشة ، وأعجوبة الغروب تجعلنا نسلم بالمعجزة الالهية ، والظلال الراقدة تهب نفوسنا الراحة والرضى ، والظلال الراقصة فى المياه المنوّرة تثير فينا النشوة ، وقد أثرت مرأى الطبيعة فى الشخصيات الجهيرة أيما تأثير ، وأثرت على الفنانين الكبار أيضاً . يقول الشاعر الهندى الكبير « ان جمال الشروق له لذة خاصة فى نفوسنا » ويقول المصوّر الفرنسى ميليه Millet : « ان أبهج شىء عندى هو الهدوء والصمت اللذان أستمتع بهما فى الغابات » ورأى بارنى Parny الشاعر الفرنسى الحزين شعوره بالسعادة ماثلاً فى صحبة الحبيبة وفى ازدهار الربيع وظل الزهر والغابة . قال :

Pour être heureux, il ne faut qu'une amante
L'ombre des bois, les fleurs et le printemps .

وابتهج الشاعر الخصيب فيكتور هيجو بالفضاء الفسيح ونشد صحبة الشاطىء ليشمّ عطر الموجة المتوحشة حيث تضحك الجزيرة التي يغني فيها على صدر البحار الحزينة ، يقول :

Oh ! laissez, laissez moi, m'en fuir sur le rivage,
Laissez moi respirer l'odeur du flot sauvage !
Jersey rit, terre libre, au seins des sombres mers.

وشعر شاعرُ الطبيعة الانجليزي وردزورث بالمسرة في رهبة الظلام وكان يقف على صخرة في الليل البهيم والعاصفة على وشك الهبوب ليستمع الى الاصوات المنبعثة من الارض وقد سجل هذا الشعور الغريب في قصيدته الخالدة « الفسحة Excursion » التي يقول فيها[1] :

وتهبنا الطبيعة الى جانب التنبيه الانفعالي قوةً في التفكير وعمقاً في التأمل وخصوبة في التخيُّل ودقة في الحساسية : فرأى السماء يقوى خيالنا ويطير بنا الى المجهول وما وراء المجهول ، وانعكاس أشعة الشمس الذهبية على المياه الجارية وقت الغروب يوسّع أفق تفكيرنا ، وألوان الأزهار المتوافقة في الطبيعة الثرية بالزهر خلق لنا فن التطريز ، والنسيم الطلق العليل ينشط تفكيرنا ، وأمواج المحيط المتوثبة تثير فينا الحساسية . وأولئك الذين تصفحوا تاريخ العلوم يدركون أن كثيراً من حقائق العلم وآيات الفن الخالدة هي من بنات الطبيعة ووحيها الذكي ، فان العالم الانجليزي نيوتن لم يهتد الى حقائقه العلمية الا بعد أن انغمس في الطبيعة وتأمل السموات ، وبحوث العلامة داروين تمتْ بسبب متين الى رحلته البحرية حول الكرة وقد يكون مرأى البحر وأشعة الشمس الذهبية من ملهماته في هذه البحوث ، ويعزو كاشف قوة البخار جيمس واط فكرة استخدام هذه القوة الى رياضة قام بها في الهواء الطلق . ويرجع الفضل في كثير من التآليف العلمية الى أحداث الطبيعة الحية : فالعالم الايرلندي جون تندال John Tyndall أخرج بحثه العلميّ عن تكوين الثلاجات وحركتها عند مشاهدة الطبيعة في سويسرا فاستوقف

Iwould stand,
If the night blackened with a coming storm,
Beneath some rock, listening to notes that are
The ghostly language of the ancient earth,
Or make their dim abode in distant winds.

نظره مرأى هذه الثلاجات ، وليس من شك فى أن مقالاته عن « الخيال فى العلم » المدبجة بأسلوب أدبى رائع هى من وحى الطبيعة الجميلة ، وما أخرج العالم الفرنسى الطبيعى Buffon مؤلفه العظيم عن التاريخ الطبيعى إلا بعد أن لاحظ الطبيعة فى حديقة النباتات بباريس وكان حارساً عليها ، وهذا التأليف أكسبه شهرة أدبية وعلمية واسعة . والى هذا فان الطبيعة أمدّت الفلاسفة ورجال الفن بأسمى الفكر وأصفاه : فان الفيلسوف الفرنسى الكبير روسو جاءته الاحلام اللذيذه فى الحقول ونادى بترك الحدائق والاختلاف الى الحقول . وقد قضى ليلة تحت النجوم على شاطىء الرون فى طريق قريب من ليون حيث نام كما يقول على مرتفع من الارض ، واتخذ رؤوس الاشجار غطاءه ونام على أغنية البلبل الذى جعل نومه عذباً لذيذاً ، ولما تيقظ رأى المياه والخضرة والمنظر البديع فامتلأ بهجة وراح فى أحلام صافية وتفكير عميق . وقد تجلى صفاء الطبيعة وحساسيتها فى ذهن الشاعر الشاب شيلى فسمعنا منه مناجاته الغردة الذكية للقبرة وخواطره التأملية عند رؤيته « للنبت الحساس » الذى رآه نامياً فى الحديقة والريح الفتية تهزه بالندى الفضى وتفتح وجهه ليستقبل النور ، وتغطيه بقبلات الليل :

A sensitive plant in a garden grew,
And the young winds flew it with silver dew
An it opened its face like leaves to the light
And closed them beneath the kisses of the night.

* * *

وإلى جانب ما تخلق الطبيعة فينا من التنبه الوجدانى والتأمل الفكرى اللذين أتينا بشواهد بارزة عليهما نرى أن للطبيعة أثراً لا يستهان به فى أخلاقنا وعواطفنا . وهذه العواطف كما يقول الفيلسوف الشاب جييو Guyau فى كتابه « فلسفة الجمال » [1] طيبة وجميلة فى آن واحد ، ونحن فى الحق اذا تأملنا كائنات الطبيعة وما توحيه نقع على معان تقوّى عواطفنا : فرأى الشجرة المستسلمة لهجمات الريح وسيول المطر وأشعة الشمس المحرقة تعلمنا « الرواقية » [2] . وزهرات البنفسج الزرقاء الوديعة تهدىء أعصابنا

(١) كتاب « فلسفة الجمال » Esthetique تأليف Guyau (٢) يراجع فى هذا المعنى مقال عن « الثقافة والطبيعة » فى كتاب « ماهية الثقافة » تأليف John Cowper Powys

وتبعث فينا عاطفة التواضع . والظلال الممتدة فى الأودية الصامتة تتخللها أشعة الشمس المضيئة ترمز الى الشفقة والحنان على الأرض . ومرأى القمر الوسنان السابح فى السماء الصافية آية مبصرة على الوداعة واللطف فى الطبيعة . والهواء الهفاف يهبّ عليلاً فينعش الصدور والماء العذب الجارى يسقى الظمـآى والشجر الطيب الذى نتفيأ ظلاله كلها آيات شاهدة على الكرم فى الطبيعة حافزة الى الجود والبذل . ووقفة الصخور فى وجه الموجات العاتية تهيب بنا فى صوت مكتوم الى الصبر والى الجهاد والمقاومة فى الحياة . ومرأى الغابة تذبل أوراقها وتموت ثم تحيا من جديد يدعونا الى قبول القدر والخشوع له والشعور بالخلود . واندفاع الموج وشدته ينهر نفوسنا ويحفزنا الى الإقدام والشجاعة . وسريان الضوء بين الشجر وهمس النسيم فى أوراقها ورقصة الظلال فى مياه النهر على نور القمر — كلها آيات على وحدة المحبـة بين أحداث الطبيعة ، وكلها توقظ فينا عاطفة الحب البرىء . ومن عظمة هذه الـكائنات وجمالها يشرق فينا الحب الالهى والنزوع الصوفى ، ومن رؤية كل كائن من هذه الـكائنات مستقلاً قائماً بنفسه نتعلم البساطة والصدق من الطبيعة وهما من أهم مميزات الشخصية الفنية .

ولا ريب فى أننا إذا نظرنا الى الطبيعة على هذا الوضع واندمجنا فيهـا اندماجاً قوياً وحنونا عليها حنواً رفيقاً فاننا سوف نجد فيها غذاء مريئاً لشخصيتنا الفنية ، وعواطفنا النبيلة ، ولا أدل على ذلك من أن سِمات كثير من الشخصيات البارزة يرجع فى الأصل إلى الطبيعة الحنون : فالأديب الألمانى العظيم جوت لم تتجلَّ له أسرار الروح والضمير إلا فى الطبيعة ، وقد أبان ذلك فى قطعـة له فى رواية « فاوست » إذ يقول مخاطباً الطبيعة : انك تقودينني الى المغـارات ، وتـكشفين لى عن نفسى ، وتـكشفين لى أيضاً عن أسرار قلبي العجيبة [1] .

وترجع صوفيـة الشاعر العظيم شكسبير إلى مشاهد الطبيعة وبخاصة الى بهاء الحقول الندية تطوف بها النسمات العليلة . وفى الطبيعة أيضاً أحسَّ الأديب الفرنسى برنارد دى سـان بيير بعاطفة الحب تتغلغل فى قلبه وسجّـل هـذا الشعور فى

---

(١) Tu me conduis alors dans l'asile cavernes
Tu me révèles à moi - même, et me déconvrez
Les merveilles secrètes de mon propre coeur.

روايته الخالدة « بول وفرجيني » حيث أحيا الأديب الحب بين قلبيْ هذين العاشقين في أحضان الغابة . وفي جنبات الطبيعة أيضاً ألفى الشاعر الامريكي ثورو حريته واستقلاله وغذى إباء نفسه . وذكر الشاعر الانجليزي العظيم وردزورث أنه بعد أن طاف مدن أوربا وراعه صخبها وضوضاؤها ثم آوى الى الريف شعر بشعور جديد هو أن كل كائن من كائنات الطبيعة من شجر وطير وحجر يحمل في نفسه روح الطبيعة .

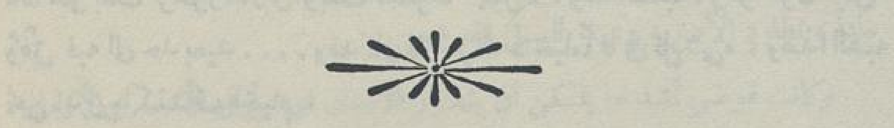
* * *

ونكتفي بهذه الأمثلة ونترك النفوس الصافية السمحة تجتلي جمال الطبيعة وتتعرف فنيتها ، فهي للأديب مثابة الجمال الحسّي والعقلي والفكري ، وهي خالقة الفن ، ومقوّمة الشخصية . وفيها يجتمع لنا التأثر الوجداني والتأمل الصوفي والذكاء الخلقي ، وفيها تتمثل لنا العواطف النبيلة : الحب بلا غيرة ، والجمال بلا غرور ، والقوة في غير ما ظلم ، والسعادة في غير ما حقد ، واللذة في غير ما إثم ، والاحسان في غير ما منّ ، والمعرفة في غير ما ثمن ، والخير في غير ما رنق ، والحقيقه في غير مواربة ولارياء .

ولعلّ هذا المقال الموجز يحيي رغبات القارىء إلى تذوّق جمال الطبيعة ، وصحبتها والتغلغل في صميمها ، ويبعث الكتاب على أن يتناولوا بالبحث ما عجز قلمي عن التبسط فيه ، فالموضوع لذيذ وصعب ، ويحتاج الى أقلام نابهة وكتب مفردة ؟

مصطفى عبد اللطيف السحرتي

المحامي





عمر الخيام

عمر الخيّام شاعر(١) فارسى(٢) عاش فى القرن الخامس للهجرة (٤٢٣ – ٥١٧) وأدرك فجر القرن السادس. عاش الرجل فى فارس فى عهد كانت فيه فارس ضمن المملكة العربية، ومات فتنوسى وما بقى ذكره الا فى زوايا بعض المكاتب المجهولة أو غضون بعض التآليف المدفونة، ولعله الشاعر الشرقى الوحيد الذى يتمتع اليوم بتقديس وإعجاب الغرب. ويعجب القارىء أن يرى شاعراً شرقياً يتمتع بهذا الاعجاب وينعم بهذا التقديس على خمول ذكره وخمود مكانته فى البلاد التى يمتّ(٣) لها وينتسب اليها.

ومات الخيام ولكنه ممات كان غفوة وهى غفوة طويلة امتدت ثمانية قرون كاملة وثب بعدها بفضل شاعر انجليزى هو: ادوارد فتزجرالد Edward Fitzgerald اكتشفه وترجم رباعياته وشادبذكره فأصبح الخيام حبيباً إلى كل نفس، حبيباً إلى كل فؤاد.

ويذكر الخيام فلا يذكر إلا مقروناً بالشاعر الانجليزى، كتبت لهما الصداقة فى الذكر وفى البقاء.

يقول شارلى فروللو مترجم رباعيات الخيام الى الافرنسية:

« من الجذع البالى الذى ينام فى ظلال نيسابور انفصل فرع ونما فى الغرب فاذا هو بعث لزهور فارس وبعث لعطرها الجميل». وقد أصاب، وهو قول(٤) حق(٥) وُفّق(٦) فيه الى حد بعيد . . . . وقد كان فتزجرالد « خياماً » فى كل شىء، ولهذا الشبه نحن ندين باكتشاف الخيام.

ورباعيات الخيام هى كل ما بقى من شعر الخيام ولعلها كل شعره. ولها على صغر حجمها وضئيل عددها كل الفضل فيما يتمتع به الخيام من شهرة وذيوع. ترجمت إلى كل لغة تقرأ وتدرس، وما من أحد يعنى بالشعر إلا وقد قرأ للخيام أو سمع

به . وقد كان حظ العربية من الخيام غير يسير ، فترجمت رباعياته غير مرة إما عن الانجليزية أو عن الافرنسية أو عن الفارسية مباشرة . ونتناول الرباعيات لكل الذين وصلتنا ترجمتهم فنرى تبايناً فى العدد والوحدة ، فعدد ما ترجمه محمد السباعى غير ما ترجمه أحمد رامى ، وهذا الاضطراب فى عدد الرباعيات ونحن نقرأها فى العربية هو اضطراب عددها وهى فى أصلها الفارسى .

يقول أحمد رامى : —

« وصل عددها الى ثمانمائة فى أحد مخطوطات كمبردج ، وأقدم مخطوط لها فى أكسفورد لا يحوى غير ثمان وخمسين ومائة رباعية » .

وكان من آثار اضطراب العدد اضطراب الوحدة ، ونستطيع أن نرى رأى رامى فى هذا الاضطراب فى قوله : « فعمر لم ينظم رباعياته فى دور واحد من أدوار حياته وانما نظمها فى الفينة بعد الفينة حسب ما أوحى اليه خاطره وأملى عليه وجدانه » . وهو رأى صائب فى تفسير خلوّها من التماسك والارتباط ، فالفكرة فيها تتكرر غير مرة وتتعدد فى غير مكان . ومما ساعد ولا شك على فقرها الى التماسك تناقل الألسنة لها حتى دخلها التغيير والابدال .

ونستطيع اليوم أن نتبين الخيام فلا نتبينه جزءاً جزءاً ، واضحاً كما كان ، فنتبين فلسفته ونتبين آراءه تائهة من أثر السنين .

عصر الخيام :

عاش الخيام فى عهد تدهور المملكة العربية ، وقيام الفتن والمشاحنات مقام السلم والهدوء . فما قام ملك أو دولة إلا لتقاتل ثم تخلع ، تنقرض دول وتنبعث دُوَل . فالشعوبية قضت على الوحدة العربية والأنانية قضت على كل خير ورفاهية ، فكان عهداً مات فى النفوس كل شىء ، غير الأنانية التى بقيت تعمل عملها ، وتسير سيراً جاداً ، تطارد الأمن ، وتمهد السبل للفوضى .

وكانت فوضى أشد ما يمكن أن يتصور الانسان فوضى فى الأعصر والأزمان . فالمشاحنات والفتن كانت على قدم وساق : فسيف الدولة يطارد كافور الاخشيدى ، وكافور يطارد سيف الدولة ، ومات سيف الدولة فقام معز الدولة وزحف الى البصرة فقاتل الثائر أبى القاسم البريدى ، ثم زحف الى الموصل وقاتل الثائر ناصر الدولة .

وبعد أن أعلن الفاطميون استقلالهم فى المغرب وزحفوا الى مصر وأصبحت القاهرة قاعدتهم سارت مطامعهم فامتلكوا دمشق والشام .

وقام القرامطة يناوشون الفاطميين وقطعوا عنهم كل هدوء وصفاء .

وقام الروم إلى المملكة العربية ، فقتلوا ، ونهبوا ، وعاثوا فساداً .

وقام بختيار ولعب دوراً أنانياً ، ونشبت سخيمة بينه وبين حاجبه سبكتكين التركى فثار ونهب دار بختيار فى بغداد ، وتولى زمام الأمر فيها .

وعلى هذا النحو كانت البلاد الاسلامية فى القرن الرابع . وكان القرن الخامس فانقرضت الدولة الأموية بالاندلس ، فانقسمت البلاد وأصبحت وحدتها الاسلامية ذكرى فى صدر التاريخ ، وقام فيها ملوك الطوائف يتقاتلون .

وقام السلجقيون فى المشرق « يريدون مكاناً تحت الشمس » فقاتلوا آل سبكتكين ، وامتلكوا خراسان وجرجان ، وظل نفوذهم ينمو وأمرهم يعظم حتى امتلك طغرول بك اصبهان وأذربيجان ، ثم وصل الى بغداد وخطب له فيها بالمُلك ، فى حين خطب فيها بالملك للفاطميين ،واستمرت هاته النغمة تتردد ، طمع ، وقتال ، والكلمة للقوة ، حتى كانت الحرب الصليبية ، وكانت تلك المعامع الكبيرة وتلك المعارك الدامية بين المسيحية والاسلام .

وذكرنا هذا أو كان يجب أن نسطر صورةأوضحوأبين عن تلك القرون الدامية. ولكن يستطيع أن يتبين القارىء مما كتبناه على إجماله تصادم الأهواء وتضارب المطامع ، وهى الفكرة التى نقصد اليها ، ونسعى لاظهارها ، كانت أشد ما يمكن أن تبدو للعين كما هى .

وذكرنا أهمّ الحوادث وما ذكرنا جميعها فاذا الأنانية هى روح ذلك العهد ، وهى روح وجدت فى ذلك العهد مرتعاً خصباً طلقاً ، لا تعثر فيه ولا اصطدام .... فكانت بفضله أبرز ما يمكن أن تبدو للعين واضحة جليّة ، لا ظلال على جوهرها ولا غبار . وهى روح ما قبعت بالبلاد الإسلامية ، ولكنها تجاوزتها الى البلاد الأوروبية ، فقام الغرب على ما به من جهل وعبودية ، وقام الشرق على ما به من تداع وانحلال . وكانت الأنانية أنانية انسانية عمت السهل والجبل ، واكتسحت العراقيل والعقبات ، وجعلت من الانسان انسانا كما أراده الله ، يتألم بأنانيته ولا يستطيع غير التألم والعناء .

فلسفة الخيام :

هذا هو عصر الخيام ، وهذا هو العهدُ الذى عاش فيه وتألم الخيام وتبرَّم بالدنيا . وعبثاً يحاول الانسان تذوّق لذة العيش ، ورائق الحياة فى هذا العهد الموبوء :

الدهر لا يعطى الذى نأملُ وفى سبيل اليأس ما نعمَلُ
ونحن فى الدنيا على همها يسوقنا حادى الردى المعجلُ

الخيبة منتهى كل مسلك والألم والحرمان خاتمة المطاف . ما خير أن يعنى الانسان نفسه بادراك ما يسعى اليه ، باطل الأباطيل أن يعلل نفسه بمنال الحياة بعد أن آلت الحياة على نفسها أن لا تعطى الذى نأمل — وما الانسان ؟ أيعاند الأقدار ؟

جئتُ هذا الكون كالماء سجمْ ثم أرتدُّ كأنفاس النسمْ !

والماء يمشى فهل كان يدري إلى أين يمشى ؟ ويرتد النسم فهل كان يعلم أنى يرتد ؟ والانسان ماء ، والانسان نسم ، يمشى لا مشية له فى مسيره ، لا يعلم أنى ينتهى ومن أين يأتى ، وكل ما يستطيع علمه أنه يمشى دامى الأقدام :

يا دهرُ أكثرتَ البلى والخرابْ وسُمتَ كل الناس سوء العذابْ

وهو عذاب الحياة ثم عذاب العبودية :

أفنيتُ عمرى فى اكتناه القضا وكشفِ ما يحجبه فى الخفاء
فلم أجد أسراره وانقضى عمرى وأحسست دبيبَ الفناء

يأس من معرفة الهناء وعجز عن إدراك القضاء ، وانقضاء العمر هباء ، فالعبودية هى نعمة السماء . هذه هى الحياة عبودية بعد عبودية ، وعذاب إثر عذاب ، وشقاء يتلو شقاء :

لقد أمضّ الهمُّ قلبى الجريح أين النديم السمح ، أين الصبوح ؟
هات أسقنى كأس الطلى السلسلِ وغنّنى لحناً مع البلبلِ

وليس الخيّام متهتكاً مع المتهتكين المستهترين :

لم أشرب الخمر ابتغاء الطربْ ولا دعتني قلةٌ في الأدبْ
لكنّ إحساسي نزاعاً إلى إطلاق نفسي كان كلَّ السببْ

وليس الخيّام أحد المتصوفة الذين يعنون بالخمر جمال القوة السماوية وسحرها ولكنه سكير كـكل السكيرين ، وخمره هي خمر العنب كان يحسوها في خلوته وفي مجالسه « ليس لأنها أقرب وسيلة ، وأخطر سبيل يسهل عليه استشفاف نور الحق من وراء حجب الكائنات ، واجتلاء سرّ الابد من خلال ظلمة الغيب » كما يزعم محمد السباعي ، ويحسوها ليس لأنه متهتك كأبي نواس ، يندفع الى اللذة ظمآنَ إلى اللذة ، ولكنه الرجل الحائر أمضّه الشك ، وأتعبه عقله ، وأرهقه تفكيره ، يندفع إلى اللذة ، لا لأنها لذة ولكن لأنها تدنيه من عالم أرحم وأقل قساوة من عالمنا ، ويحسوها لأن المنون يدنو بخطى جبار فيكون أشد ما يمكن ظمآنَ إلى الخمر لنسيان كل شيء :

سارعْ إلى اللذات قبل المنونْ فالعمر يطويه مرورُ السنينْ
وأنت كالأشجار إن قلّمتْ فروعُها عادت رطاب الغصونْ

***

وانما نحن رخاخ القضـــــاء ينقلنـا في اللوح أنى يشاءْ
وكلُّ مَن يفرغ من دوره يلقى به في مستقر الفناءْ

ويكون اندفاع الخيّام إلى الخمر واللذات اندفاعاً للذة ولكنها ليست اللذة التي في طينة الرجل تحقيقها والسعي إليها ، ولكنها لذة يأوي اليها بعد أن ينفض يديه من كل لذة ، وهو اندفاع للذة وتبرُّم بالحياة وحرص على الحياة يبلغ إلى الكفر بالغيب ، وجحود البعث يثوب بعده الى رشده وينتهي مؤمناً في استسلام :

يا قابلَ الأعـــذار فئنا الى ظلك فاقبل توبة التائبينْ

وكذلك يحث فعجز ، فتبرم ، فكفر . وينتهي الكفر ويغيض الجحود ، فلا يغيض تبرمه بالحياة ، ويبقى الخيام متبرماً كما تبرم المعرّي والذين لا يعرفون للحياة طعماً يلذُّ وجانباً يغوي ويستهوي ، ولكن تبرم الذي يحسن تذوقها ، ويحذق الاستمتاع بها وهو يتبرم منها ويعرف الالتذاذ بها وهو ناقم عليها !

هذا هو الخيّام وهاته هي فلسفته : اندفاع للذة ، واندفاع للذة تبرم بالحياة

وحرص على الحياة . وقد لا يتبرم من رُزق عناداً وصلابة فى العود وصلابة فى الكفاح ، ولكن الخيام رجل ضعيف ما خُلق للمغامرة والكفاح فكانت فلسفته نقمةً واستسلاماً : فعصره جعل منه متبرماً فى استهتاره متشائماً فى التذاذه واستمتاعه ، وضعفه جعل منه مستهتراً فى تشاؤمه ، ومستسلماً تتقاذفه أمواج الحياة أنّى تدفعها العواصف والرياح .

يقول ابراهيم عبد القادر المازنى :

« يخيل اليك وأنت تقرأ رباعياته المترجمة إلى العربية عن الفارسية كأن الخيّام « كأولاد البلد » أبناء الجيل الماضى فى مصر ممن كان همهم أن يحيوا الليل بالشراب والطرب والأنس ، فاذا تنفس عادوا لمخادعهم وأسدلوا الأستار ، وحجبوا الضوء وألقوا رؤوسهم على الوسادة وناموا ، ولا نعدم من هؤلاء فلسفة ، فقد تسمع منهم قولهم أن العمر قصير وأن المنايا واحدة ، وأن العصفور فى اليد خيرٌ من ألفٍ على الشجرة ، وبعد رأسى لا كانت الدنيا ... إلى آخر هاته الكلمات التى تخطر بكل بال ، وتكاد تجرى على كل لسان ، والتى هى من الشيوع والابتذال بحيث لا تستحق تكريم الارتفاع بها الى مستوى النظرات فى الحياة » .

وقد انتبه القارىء الى هذا ولا شك وهو يتلو ما ذكرنا له . ويعجب لأن يكون للخيام الشاعر المكانة التى سمعها عنه فى الغرب فيتهم النفس الغربية بالبلادة والموت ، وما بالأمر بلادة أو موت . والخيام الذى ترجم له فتزجرالد الانجليزى غير الخيام الذى ترجم له رامى والزهاوى ، فكل ما ترجمه الأخير فلسفة ليست فلسفة مستهتر متهتك عربيد كفلسفة « أولاد البلد » - إن كانت هذه فلسفة - ولكنها فلسفة أو فقل آراء متشائم لا حرارة فيها ولا اهتياج. وليس كما يقول المازنى « ذكر الأيام والفناء والأقدار هنا وفى أمثال هذه الرباعيات يشعرك لفح الحرارة التى تحسها من رباعيات فتزجرالد وألم الجنون من عجز الشاعر عن حل الألغاز التى يعالجها وفك المعميات التى يعانيها وكشف الأسرار التى يغوص عليها » .

وترجمة فتزجرالد هى لشاعر له فلسفته ، وله نظرته ، وهى لشاعر ساخر متبرّم متهتك تحس بقوته وحياته فى أىّ لفتة من التفاتاته وأىّ حركة من حركاته . واذا علمنا أن اتفاق الزهاوى ورامى فى نضوب ترجمتيهما من الحياة هو نضوب رباعيات الخيّام من الحياة وهى فى الفارسية ، علمنا أن فتزجرالد أسبغ على الخيّام

من روحه دون فلسفته أو فقل نفخ فى فلسفة الخيّام فانتبهت حيةً نابضةً ودبّت على الاقدام، وكان الخيّام شاعراً بروح فتزجرالد واليه يدين بما له من ذيوع وشهرة، فلولاه لما كان الذى كان، ولبقى فى ظلال النسيان والاهمال. وندرك جيداً أن سر خمود ذكر الخيام فى الشرق طيلة ثمانية قرون هو فى الخيام نفسه وأنّ ذيوع الخيّام وشهرته هو لفتزجرالد.

* * *

واليوم ينام الخيّام وينام فتزجرالد: الأول فى نيسابور والثانى فى انجلترا، كُتبت لهما الصداقة فى البقاء، صديقان لا يفترقان إلى الأبد، اشتركا فى أثر هو من أجل الآثار التى يقرأها الانسان ويتلوها؟

تونس: محمد عبد الخالق

بشار بن برد

أخلاقه فى شعره

بشار بن برد شاعر مجيد من شعراء الدولة العباسية، وُلد أعمى من بطن أمه، وقال الشعر وهو ابن سبع سنوات، وأول ما قال فى الهجاء. وكان هجاءه مقذعاً جدّ الاقذاع وقد تفنن فى ضروبه الى أن امتدّ لسانه أخيراً الى هجاء أمير المؤمنين المهدى عم هارون الرشيد فأعلمه أحد الامراء بما قال بشار فيه وكان هذا الأمير حانقاً على بشار لأن بشاراً كان قد هجاه من قبل فأمر المهدى بأن يجلد بالسياط ولذلك سبب لا يخفى على أديب وإن كان فى نفس المهدى الانتقام منه من جراء هجائه له فآلمه الضرب ومات بعد أن بلغ من الكبر عتيّاً وكان الضرب سبب موته. وبشار يجيد المديح كل الاجادة لأنه اتخذه وسيلة لكسبه وسدّ عوزه، وكان يتردد على الأمراء وأصحاب الثراء فيمدحهم بالقصائد المحكمة الرصينة فيبذلون له المال ويعطونه ما يريد، لا اختياراً منهم ولكنهم كانوا يفرقون من لسانه البذىء أن يمتدّ اليهم فيلبسهم عاراً، والويل لمن يمدحه بشار ولم يعطه شيئاً. وناهيك بشاعر يقول كلمة فلا تكاد تخرج من فيه حتى تسمعها من وقتها وقد لاكتها أفواه العامة غاديها ورائحها!

فهو إن مدح أحداً فلسان حاله يقول: إن لم ترد حمدى فراقب ذمى!

وقـد يبلغ فى مدحه أحياناً الى الغلو، مثال ذلك قال يمدح رجلا يقال له عقبة ابن سلم :

حرم الله أن ترى « كابن سلم »   « عقبة » الخـير مطعم الفقراء

ولك أن تتأمل فى «حرم الله أن ترى كابن سلم» فتعرف مقدار تزلفه ومغالاته فى المدح، والشواهد على ذلك كثيرة فى ما بقى لنا من أشعاره وما بقى لنا منها الا النذر اليسير. والتاريخ يقصّ علينا أن بشاراً نظم اثنى عشر ألف قصيدة فضيعها الاهمال وخيم عليها النسيان بطول الزمن فلم يبق منها غير مقطوعات وقصائد قليلة متفرقة فى بطن كتاب (الأغانى) .

ولبشار غزلٌ يسيل ظرفاً ورقة ، ويتدفق شهداً وحلاوة ، خال من كل تعقيد وكلفة ، وإن لم يخل من الاستهتار فى بعض المرات . وكيف لا يكون رقيقـاً فى غزله وهو الذى راض أحوال النساء وعرف دخائلهن وهو القائل :

عسر النساء الى ميـاسرة   والصعب يمـكن بعد ما جمحا

وقد يأخذك العجب فى أعمى يحب ويهيم بالمحبوب،ويتيّمه الحب ولـكن دهشتك قد تزيد إذا قرأت له أبياتاً وقد وصف فيها المحبوب وصفاً دقيقاً كأنهـا لمبصرٍ من الشعراء المجيدين. مثال ذلك قوله :

بنت عشر وثلاثٍ قسمت   بين غصنٍ ، وكثيبٍ ، وقمرْ !
دُرَّةٌ بحرية مكنونة   مازها التاجر من بين الدررْ

وقوله :

وما نظرت عينى غـداة لقيتهـا   بشىء سـوى أطرافها والمحاجرِ
وحوراء من حور الجنان غريرة   يرى وجهه فى وجهها كلُّ ناظرِ

هل هذه الأبيات لشاعر أعمى ؟! أجل : هى لبشار الشاعر الأعمى الذى يقول :

إن كان عينى لا ترى وجههـا   فانها قد صُوِّرت فى الضميرْ !

أو يقول :   ... فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللبّ

ولـكن ضمير بشار فى بعض المرات يكون مصوّراً ماهراً يصوّر له الحبيب بماء اللؤلؤ فى صورة فاتنـة ساحرة حتى أن عينه « التى فى ضميره » اذا وقعت على جارحة من جوارح الحبيب بأسرها صفاء تلك الجارحـة ورواؤها وتناسب

أعضائها فيعتريه فى الحال ارعاد فى داخل الحشا ويخيل اليه وهو ينظر الى محبوبته أن لكل جارحة من جوارحها وجهاً مليحاً فاتناً ماثلاً أمامه ، وهذا خيال بديع . قال :

تلقى بتسبيحة من حسن ما خلقت   وتستفزُّ حشا الرائى بإرعادِ
كأنما صُوِّرت من ماء لؤلؤةٍ   فكلُّ جارحةٍ وجهٌ بمرصادِ

ويعجبنى قوله يخاطب الحبيب :

أملى الا تأتِ فى قمرٍ   لحديثٍ وائق الدعا
وتوقَّ الطيبَ ليلتنا   إنه واشٍ اذا سطعا

غير أنه تغلب عليه الزندقة أحياناً فيخفيها .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

وللزندقة من الخاصية التى تعرف بها كما للطيب من الخاصية التى تظهره وتنمُّ عنه فهو يقول مفضلاً ابليس على أبينا آدم وينعت الناس كلهم فاجرهم وتقيّهم بكلمة « الفجار ! » فى غير تورع :

ابليس خيرٌ من أبيكم آدمٍ   فتنبهوا يا معشرَ الفجارِ !
ابليس من نارٍ وآدم طينةٌ   والأرض لا تسمو سموَّ النارِ

وضرب لنا مثلا ونسى خلقه وظن أنه من مارج من نار ! ولكن زندقته لم تقف عند هذا الحد بل ذهب يتفنن فى ضروب تفضيل النار على الطين ، أو بعبارة أخرى الجان على البشر بحجة أن النار كانت إلـهاً يعبد منذما عرفت بين الناس ، قال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

ولبشار ولع بشرب الخمر وإدمانها لا يقل عن ولعه بالتشبيب بالنساء ومغازلتهن فهو يقول واصفاً الخمرة وما تفعله بالعقول من قوة مفعولها :

نفحت نفحة فهزت نديمى   بنسيمٍ وانشقّ عنها الزكامُ
وكأن المعلول منها اذا راح   شجٍ فى لسانه برسامُ
صدمته الشمولُ حتى بعينيه انكسارٌ ، وفى المفاصل خامُ

وهو باقى الأطراف حيث به الكا   سُ ، وماتت أوصاله والكلامُ !

ولكن رغماً عن ادمانه على الخمر وولعه الشديد بها لا يجهل ما تجره على شاربيها من شرور كامكان ما لا يرام ، مع ضياع ماله وعدم معاودة السكرى لعينيه من الهم الذى لحقه من ضياع المال وبكائه كالطفل حين تغيب عقله وتفقده صوابه ، قال :

وفتى يشرب المدامة بالما   ل ويمشى يروم ما لا يرامُ
أنفذت كأسه الدنانير حتى   ذهب العين واستمر السوامُ
تركته الصهباء يصبو بعين   نام انسانها وليست تنامُ
جنّ من شربة تعلّ بأخرى   وبكى حين سار فيه المدامُ

وكيف لا يكون عارفاً بتأثير الخمر فى عقول شاربيها وما تجره عليهم من ويلات مَن يقول :

قد عشت بين الندمان والراح والمز   هر فى ظل مجلسٍ حسنِ

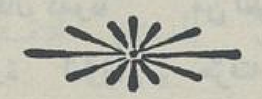
فهو اذاً خبير لا يلتبس عليه أمر فى كل ما زعم من قول عن الخمر .

وأخيراً لا يسعنى قبل أن أختم الكلام الا أن أقول إنى لم أجد من بين شعراء العربية مَن له شعر يضارع شعر بشار سلاسة ورقة وأسلوباً سهلاً كأسلوب بشار فى أشعاره ، ولا سيما ما كان من أشعاره فى الغزل ، وكيف لا يكون كذلك من يقول عن نفسه :

وشعر كنور الروض لاءمتُ بينه   بقولٍ اذا ما أحزن الشعر أسهلا !

الجزيرة أبا ـ السودان

بشرى السيد أمين





فى معانى الدموع

آذنتنى بفعلها الذكرياتُ   باكيات تطوف مبكيّاتُ (١)

يُقتلُ الحرُّ أن يُنالَ بضيمٍ   ثم تبقى ذيُوله المؤلماتُ

تحملُ النفسَ أن تقيم على الهـ   ـمّ ، فتُغرَى بهدمها المنكرات

وإذا المرء خانه الحظ أمسى   تاعساً ، خيرُ شأنهِ سيئاتُ

***

كم مع الدمع مِن معانى تجرى   وهى ذَوْبٌ من الأسى أوفتاتُ

يرسلُ المرءُ ناظريه ، وفيها   يرسلُ المرءُ منها المحزناتُ

رُبّما نظرة تفيض على النفـ   ـس فيوضاً تحار فيها الأساةُ !

رُبما نظرة تبثٌّ يكون القـ   ـلبُ مما تبثه والشكاةُ !

ربما نظرة تساق حديثاً   ناعماً فى سياقه المغرياتُ !

كلٌّ فعل العيون جدٌّ خطير   حين تُلفى كأنها هيناتُ !

***

يا بقايا الهوى تسحُّ بها العـ   ـينُ ، وفيها على الجوى بيناتُ

يا حديثَ القلوب يرسل قطر   فيه مما شجى المعنّى سماتُ

أنت مرٌّ نوى ، فجال دموعاً   من لظى الكتم ، آيُها معجزاتُ

أنت ذكر وسلوة لفؤاد   حرّقته على النوى أمسياتُ

---

(١) الرفع على الخبرية للمبتدأ المحذوف .

كل وجدٍ ولذةٍ وجمالٍ أنت فيه الدلائل القيماتُ !

***

ليت شعري - إذا تنى ليت شعري - كيف عاش الجفاة ، أم كيف ماتوا ؟!

ثَمَّ رفق ورقة وحنان والتياعٌ ، وهذه الممتعاتُ

كل نفس رمت بها لخراب إن نبع السمو تلك الصفاتُ

***

كم نفوس تسيل وهى مع الدمع غثاءٌ مُهوَّنٌ أو رفاتُ

قد غزاه الهوى ، وأىُّ عصى لم يقده الهوى ؟ وحتى الغزاةُ ؟

ليس بالعار أن تثار دموعٌ تصرف الشجو ، لم تثرها الهناتُ

فى معانى الدموع هادنتُ نفسى يا معانى الدموع أنت الحياةُ !

محمد زكى ابراهيم

مدمن الألم

شربتُ الحزن من كأسى ولم أعرف مَن الساقى !

جرعتُ الهمَّ بالدنِّ لأطفى فيه أشواقى

***

شربتُ الحزنَ لم أبقِ على شىء من الحزنِ

وفى سكرى وإغمائى كسرتُ الكأس بالدنِّ

***

ولكنى وقد أدمنت خمر الألم الطاهرْ

تولانى جنونُ المدمنين افتقدوا العاصرْ

***

فمن لى بعصير السهد أحسوه على سهدى ؟

ومَن لى بفتات الوجدِ أغذاه ، على وجـدى !

***

إلّمى ! لا تدعْنى للهناء الصرفِ يودى بى
ودع آلامىَ العليا ترويّنى من الصابِ

***

جنود البؤس أهلاً ! هى ذى نفسى تحييكم !
تعالوا نشرب النخبَ المصفَّى من معانيكم !

***

تعالوا واسمعوا قلبي يناجيكم بآهاته
ويدعوكم بنـاديه ليشجيكم بأناته . . . :

***

ألا هيــــا الى نادٍ بناه القلبُ للشعرِ
فشعرى من أغانيكم وأنتم ملهمو الفكرِ

المهدى مصطفى

الحياة والشعر

ألا فاضمنْ لشعرك مَن يذيعُ فان الشعر أكثرهُ يضيعُ !
مُعادُ القولِ أكثره خبيثٌ وفضـلُ الشيء أجـله شنيعُ
وحيثُ أضاءت الكهرابُ داراً أُزيلت مِن زواياها الشموعُ
ونورُ الشمس بحرٌ شـاطئاهُ مِن الليل الأصائلُ والهزيعُ
اذا لم تدرِ ما عُقبي أمـورٍ فلا تشرعْ ، فما يجدى الشروعُ
تعالجُها فلا يشفى علاجٌ وترجـعُ لا يشرّفك الرجوعُ
اذا اتّضعَ الرفيعُ فذاك سهلٌ وصعبٌ كيف يرتفـعُ الوضيعُ

بلوتُ الدهرَ فى شتى أمورٍ فجفّف نضرتى وأنا الربيعُ
فلولا أن لى شعراً رصيناً وأنى فى مُعالجه ضليعُ
وأنّ نوائب الحدثان طُرّاً إذا نزلت بساحى لا تروعُ
وملء القلب إيمانٌ عنيفٌ له فى كلّ مختصمٍ صريعُ
لنالت منىَ الدنيا كثيراً ولكنى لهجمتها دفوعُ
فما أهرقتُ ماء العين ضيْقاً وكيفَ وما لمهرقةٍ شفيعُ ؟
اذا ماء القلوب مضى رواحاً بأنفاسِ الحياةِ فما الدُموعُ ؟
ومن يجد الحياة على هَواهُ يجد شهداً خليّتهُ لذوعُ !

عامر محمد بحيرى

خواطر

هونِ الخطبَ على النفس. يهُنْ لا تضقْ ذرعاً بأحداثِ الزمَنْ
خُلُقُ الدهر هناءٌ وشقا ونعيمٌ وسرورٌ وشجنْ
فلكٌ يجرى ويحوى عجباً مِنْ أمورٍ جمعت مِن كلّ فنّ
وطريقٌ تارةً واضحةٌ سهلةُ السير وتاراتٍ حَزَنْ (١)
يقطع المهدَ على السلم ضحًى فاذا الليل دَجَا للحربِ شنْ

***

طائرٌ للحظِّ عندى كم عَلا وهوى فانحط من أعلى الفنَنْ
غفل الصائد عنهُ فشدا ورمى بالسهم أحشاه فأنّ
غرّدُ الطائر دهراً هزجا وبكى الطائر دهراً وأرنّ (٢)

***

وَيْحَ قلبى ! هلْ أراه برهة أغفلَتهُ مُستجدّاتُ المحنْ ؟

(١) الحزن ضد السهل وحركت الزاى لضرورة الشعر . (٢) أرنّ من الرنين .

قاتل الله الليالى ! صفوها هل يرى يوماً إلى النفس سكن ؟
كم جفونا لذة العيش بها وسلونا فى الدجى حلو الوسن[1]
وأذبنا الجسم فى السعى إلى غاية النفس ولم نشك الوهن
ليت شعرى ما جنينا بعدها غير طول الوجد أو فرط الحزن !
لا يفيد الجد فى درك المنى دون أن يسعفه الجد الحسن[2]

* * *

نحن فى عيش تساوت عنده غفلة الجاهل بالحر الفطن
ربما أدرك فدم قصده حينما أخطأه الشهم اللسن

* * *

وطنى مصر ومصر جنة حبذا المربع فيها والسكن
زينة الأمصار بل أم القرى وعروس الريف بل عرس المدن
ألبس التاريخ تاجاً رأسها خضع الدهر لديه والزمن
خازن العرفان فى فجر النهى جمع الحكمة فيها واختزن
نيلها الكوثر يجرى سلسلاً سائغ الطعم إذا الماء أسن
معهد القوة واللطف معاً مسرح الرئبال والظبى الاغن
وقدود الغيد فيها شابهت قضب الريحان والبان اللدن
حاذر الألحاظ من غزلانها فوراء اللحظ كم موت كمن !
أرضها مهدى ولحدى ، وحلا فى رباها لى مقامى والكفن
رضع القلب هواها قبل أن يرضع الثغر من الثدى اللبن
وجرى حبك يا مصر كما جرت الروح فأحييت بى البدن

يعقوب حنا

---

(١) الوسن هو النوم . (٢) الجد الأولى الاجتهاد والثانية الحظ .

أنتـــان

من الزمن ومن ذوى القربى

ألا يا التى مِن دأبها الهجرُ والدلُّ سلى عن شجٍ مِن دأبه الحبُّ والذلُّ
قِفى جددى عهدَ الغرامِ بنظرةٍ تذكرنى ما تصنع الأعينُ النجلُ
ويا ربَّ سالٍ حنّ بعد سُلوّهِ فعاد كأن لم يأنفْ الحبَّ أو يسلُ
أرى الغيدَ يطابن الذى عزَّ نيلهُ وإلاّ فلا قُربٌ يُنالُ ولا وصــلُ
شفيعُ الغوانى عنــدهنَّ نضارةٌ يزيّنها الإيسارُ والحسنُ والشكلُ
تولّيتُ عرشَ الحب فى ميعةِ الصــبا فلما انقضى شرخُ الصــبا نابنى العزلُ
وما عنفوان العمر إلا أريكةٌ اذا جفَّ عودُ المرء تهـوى وتنشلُ
سل «الرملَ» فى «حلوان» كيف افترشتهُ الى أن شكتْ «حلوانُ» واستصرخ الرملُ
ألا ما لأحبابى تبدّدَ شملهم وكنا كحبِّ العقدِ يجمعنا الشملُ
وكم من خريدٍ حاولتْ كتمَ سرّها فلما التقينا هاجهُ الوجدُ والخبلُ
تقول : « حبيبى ! إنَّ أمرك نافذٌ فمُرنى بما ترضَى به ولك الفضلُ ! »
جلستُ اليها لا الرقيبُ يروعهـــا ولا اللومُ يدنى من هواها ولا العذلُ
وفارقتُها والليلُ تحكى نجومُه عيونَ المذاكى وهى مائلةٌ قبلُ
ولولا شذا روضٍ أعانَ بنفحهِ لنمَّ علينا ما حوى شعرُها الجثلُ

* * *

أجدّك لا تذكر لىَ الغىَّ بعد ما تبين نورُ الرشد واكتملَ العقــلُ
وما هذه الأيام إلا روايةٌ إذا مرَّ فصلٌ جاءَ من بعـــده فصلُ
حوادثُ مثل الجيش سار كتائباً فواحدةٌ تمضى وواحـــدة تتلو
كفانى أسًى أن لا أرى سهمٌ أبرقٍ بجسمىَ إلاَّ وهو بالسّقم معتلٌ !
وما هدّنى الا شغافٌ ممزّقٌ والا فؤادٌ زائفُ النبض مختلُّ
وكانت صفاتى لا تبض فأصبحت من العرَقِ الجارى تسحُّ وتنهلُّ
وحلَّ بعينى زائرٌ لا توده فقالت له : ياضيف قل لى متى تجلو !؟

عمى نزلت عينى منه غشاوة ... لها اسودت الدنيا وأظلمت السبل
ولله لطف حين أدرك ناظرى ... تجلى ضياء الشمس وانكشف الظل
وهل مثل نور العين غال محبب ... تهون له الدنيا ويرخص ما يغلو؟
أحييك يا انسان عينى تحية ... لها نفحة الريحان باكره الطل

* * *

يقول طبيب الحى: « ويحك لا تخف! » ... وكيف وسيف الموت فوقى مسلل؟!
كأن بنى الدنيا زروع تباينت ... وذاك الردى الحصاد والعالم الحقل!
اذا انحل جسم النصل (١) بانت عروقه ... وهذى قريباً سوف تعسو وتنحل
فلا تخش بعد الموت شيئاً فانما ... من السلخ بعد الذبح لا يألم السخل!

* * *

شيوخ وأطفال أحبوا حياتهم ... وفى جهل مغزاها استوى الشيخ والطفل
أرى عقد الألغاز حل عويصها ... ولغز المنايا عقدة ما لها حل
إلهى! خلقت الناس تبغى لهم هدى ... تباركت! أرشدهم فانهم ضلوا!
ولو لا بقايا الشك ما صام بعضهم ... ولا نذروا حجاً اليك ولا صلوا
ترفق بنا والمهل يشوى وجوهنا ... فأنت الذى نخشاه لا النار والمهل!
وهل يستوى من وحدتك قلوبهم ... ومن كان فيهم يعبد الثور والعجل؟!
تخالف حتى فى الحجارة دينهم ... فناس لهم (ود) وناس لهم (بعل) (٢)

* * *

إلهى! إذا حاسبت خلقك فاحبنى ... بحلم يرينى كيف يغتفر الجهل

---

(١) يشير الى نظرية من نظريات التاريخ الطبيعى وهى أن جسم النصل هو النسيج الأخضر الرخو الذى بالورقة ، فاذا سقطت الورقة من الشجرة تحلل وانعدم وبقيت خيوط دقيقة كالشبكة تسمى « العروق » وهذه العروق فى مجموعها تسمى « النصل » . (٢) ود وبعل : صنمان .

وخذ بذنوبي شرَّ أهلي فانهم ... جماعةُ ذؤبانٍ يقالُ لها : أهلُ !

عجبتُ لهم كيف استشاطت حقودُهم ... وليس لهم وترٌ لديَّ ولا ذحلُ

همُ أنكروني والزّمانُ ينوشني ... بنصلٍ من الأحداث يتبعه نصلُ

وهم سدّدوا نحوي نبالَ عدائهم ... وما بيدي قوسٌ تُشدّ ولا نبلُ

فقدتُ سلاحي واستتمُّوا سلاحهم ... ولا يستوي الشكّاك(١) والنفرُ العزلُ

عرضتُ فما همّوا اليَّ بزورةٍ ... كأنيَ مجهولُ القرابة أو غفلُ

ولو أكثروا ـ شأن الصديق ـ عيادتي ... لقلتُ ـ اذا غابوا ـ لعلهم ملّوا

وجنبي من الجيل القديم مسنّةٌ ... بها لوعةُ الثكلى اذا هاجها الثّكلُ

تقول : « جفانا الأقربون تشفّياً ... وشبّت صدورٌ ملؤها الحقدُ والغلُّ

نأوْا عن عليلٍ أشبعَ الدهرُ جسمَه ... من الداء حتى شلّتْ اليدُ والرجلُ »

فقلتُ : « وهل يُرْجَى قريبٌ لرحمةٍ ... وكل ذوي القربى بلاءٌ اذا حلّوا

أخفُّ افتراساً منهم الليثُ ساغباً ... تجشمه الرزقَ اللباءةُ (٢) والشبلُ

وأسلمُ منهم حيةٌ مسَّ بطنها ... أذى الجوع فانسابتْ الى النهش تنسلُّ

أناس كداء البطن زاد صفارهُ (٣) ... فليس بمجديه الدواءُ ولا البزْلُ !

سقوني من الأوصاب كأساً مريرةً ... ككأس (يسوع) ملؤها الصاب والخلُّ !

لهم نزقُ الصبيان خفّتْ حلومُهم ... وأكبرهم همٌّ وأصغرهم كهلُ !

وما عالهم عِزّي غداة افتقارهم ... الى عائلٍ يزكو به الجودُ والبذلُ

وكائن مددتُ الحبلَ بيني وبينهم ... فلما أساءوا شدّه انقطعَ الحبلُ

وليست رُقى الحاوي بمجديةٍ له ... اذا شالت « العمياء » (٤) وانقلب الصلُّ

فمن حمةٍ جوفاء سالتْ سمامُها ... الى أهرتٍ لم تنب أنيابه العصلُ

وغرّتهمُ مني أناةُ مسالمٍ ... له خلقٌ من دونه الدمثُ السهلُ

---

(١) الشكاك : الذين تدججوا بسلاحهم (٢) اللباءة : انثى الأسد .

(٣) الصفار : ماء الاستسقاء . (٤) العمياء : العقرب .

وكنتُ لهم مفتاحَ كلِّ ملمّةٍ   تعسر فيها البابُ واستحكم القفلُ
أقرُّ عباد الله آلفُ وحدة   خلا من ذوى قربى هم العبء والكلُّ
فلو كنتُ كابن الجو طرت تخلصاً   من الأهل حيث النسر فى جوّه يعلو
ولو كنتُ كابن البحر غصت الى مدى   يرانى فيه النونُ أنى له مثلُ
ولو كنتُ جواباً نزلت تنائفاً   بها ينزل الرئبالُ والذئبُ والرألُ
فراراً من الأهل الذين كرهتهم   كراهةَ قالٍ ما له عندهم سؤلُ
فيا ليتَ أنى ما خلقت لأجلهم   ولا آدَ ظهرى من قرابتهم ثقلُ
ولا شملتنى حاضنٌ بحنانها   ولا درَّ لى من ثدى مرضعةٍ رسلُ
ضلالا لهم ! ماذا يريدون من فتى   كريمٍ ، على الاعسار ما شأنه بخلُ
خليق بمأثور الحديثِ اذا جرى   من القول ما يزهى به المجد والنبلُ
وأىُّ فخار فى ثراء ذوى غنى   خزائنهم خصبٌ وأخلاقهم محلُ ؟
علىَّ عزيز أن يغضّوا كرامتى   كأن ليس لى فى حبهم حسبٌ جزلُ
ألم يعلموا أن المكارم والعلى   لها دوحةٌ هم فرعها وأنا الاصلُ ؟!
يرومون منى أن أساجل هزلهم   وما الددُ من طبعى ولا شيمتى الهزلُ
أقسّم زادى بينهم ويسبنى   على بذل زادى منهم الوغدُ والنذلُ
وما كان لى الا وفاء وعودهم   ولى منهم الإخلافُ والشحُّ والمطلُ
سواسيةٌ فى الكيدِ حتى كأنهم   ذئابٌ سجاياها الخديعةُ والختلُ

***

سيدرون ما خطبي متى لعبت يدى   بمخصرةٍ فى طيها القولُ والفعلُ
غداتئذٍ يجنون شرَّ جزائهم   كما اقترفوا شرَّ المآثم من قبلُ
ولم يك يثنينى عن الثأر قولهم :   ملكت فاسجحْ أيها الحاكم العدلُ
اذا ما حياضُ الودِّ كدرها الاذى   فهيهات أن تصفو وهيهات أن تحلو
خذ الاهلَ بالتأديب تأمن شرورهم   ومن لم تؤدبه العصا فله النعلُ ! »

أحمد نعيم



مناجاة القمر

في نورِكَ الحالمِ الجميلِ شذىً زهرٌ تنسمته باحسامى
مِن عالم السحر رحت تحمله لكل ذى لوعةٍ من الناسِ
يا حسنَ هذا الضياء منتشراً على غصون النخيل والآسِ !
أحلامه ، صمته ، نناعسه يحنو على مهجتى وأنفاسى
كأنما رفرف الحنان به فالروح من لمح ظله حامى

***

يا بدرُ كم فى الحياة ذى ألم يودّ لو بات تحت أرماسِ
وساهمٍ قلبهُ بأضلعه يرنّ فيها رنين أجراسِ
وساهرٍ حائرٍ ومضطربٍ وصارخٍ من حبيبه القاسى
فابعث اليهم بالنور ينقذهم من غمرة الحزن أو دجى الياسِ

***

يا بدرُ ما لى أراك مختبئاً وراء نخلٍ أغرَّ ميّاسِ
قد همست بالصلاة أغصنه ورتلتها لنورك الآمى
كأنه والنسيم يشبعه لثماً حسانٌ رقصنَ بالراسِ !

***

يا بدرُ قل للتى بذلتُ لها ما تبتغى من حبٍّ وإيناسِ
ثم نأت فالدموعُ حائرةٌ على ذراعى وفوق قرطاسى
« فؤاده ما يزال يذكركم وإن نسيتم فليس بالناسى ! »

أحمد مخيمر

فى مصيف الآلهة

فى شمال سورية تشمخ سلسلة جبال تعرف « بجبال العلويين » أو باسمها الحكومى « جبال اللاذقية » تمتد على الساحل الفنيقى مسافة طويلة ، من جبال لبنان جنوباً حتى جبال طوروس شمالا .

فى كبد هذه الجبال الجميلة أنشأت حكومة اللاذقية ، منذ ثلاث سنوات ، مصيفاً بديعاً ، يمتاز عما سواه من المصائف بأنه لا يقوم فى مكان قرية بل ، ابتناه سراة البلاد على نفقتهم ، اذا شادوا دورهم الرحبة على هضابه الخضراء وبين حراجه الكثيفة . وانشأت الحكومة فيه فندقاً فخماً من الطراز الأول ، ثم شقت الطرقات ومهدتها بين جميع نواحى المكان وفى قلب غاباته المكتظة الأشجار ، وأقامت فيه ملاعبَ للرياضة ، فتم فيه جميع ما يحتاج اليه المصطاف من نزهة ومراح ، وتسلية وانشراح .

ويمتاز هذا المصيف أيضاً بكثرة أشجاره الباسقة ، وغاباته المتعددة الملتصقة ببعضها البعض ، حتى ان الاسم المعروف به ينطبق عليه تمام الانطباق ، فان اسم « صلنفة » المسمى به محرّف عن « سيلفان » وهو ربّ الأشجار وآله الأدغال عند الأقدمين ، وجميع القرائن الموجودة هناك تدل على ان هذه البقعة كانت آهلة عامرة فى قديم الزمان . والباحث فى تاريخ سورية يعلم ان عبادة إله الغابات كانت شعائرها مقامة فيها ، وان أجدادنا الفنيقيين كانوا يؤمنون بها . ولما جاء اليونان والرومان سورية ، وأقاموا عباداتهم الوثنية فيها ، اختاروا هذا المكان لعبادة هذا الإله لامتياز هذا المكان عن سواه ، أولا : بجمال موقعه . ثانياً : بتعدد مناظره ، ثالثاً : بكثافة حراجه .. وأطلقوا عليه اسم الاله ، الذى تحرف مع الزمن الى « صلنفة » .

***

هذى (صلنفةُ) ، فى الجبال حراجُها   تكسو المصائفَ بهجةً وجمالا

أشجارها تحكى عمالقةَ الدهو   رِ كأنها نصبتْ لهم تمثالا

متحابكات بالغصونِ ، فلم تدع   حتى إلى سهمِ الشعاعِ مجالا

أزهى بهاء « الاستركُ[١] » ذو العطر الزكى — وتنوعتْ ذات الشذا أشكالا

إن هزّها عصفُ الرياحِ ، حسِبْتها — متصاولات يلتحمن قتالا

تنبيك عن قِدم الوجود جذوعها — فتعدُّ فى طبقاتها الأجيالا

بثباتِ قامتِها ، وميلِ غصونها — تبدى لراءٍ هيبةً ودلالا

وبظل ذى الأجمِ الكثيفة مهدوا — دربَ التنزُّهِ قبلةً وشمالا

أسموهُ « درب العاشقين[٢] » تفنناً — فتفنَّن الشعراء فيه مقالا

يسرى هواهُ على الخدود بقبلةٍ — فيُرى العناق ، تصوُّراً وخيالا

كم ظنّ مغرورُ الهوى ، صيد الظبا — سهلاً ، ولكن ذاك عزّ منالا

وتُرى السما زرقاء صافية ، وخضر — الراسيات ، بأفقها تتعالى

ويقوم كالصرح المشيَّد ، فندقٌ — ضاهى الخورنقَ ، رفعةً وجلالا

الزهرُ فى جنباته متناسقٌ — وصفوفه بمدارجٍ تتوالى

فالماء من وادٍ عميق مصعدٌ — والكهربا بسنائها تتلالا

إن قال يوماً واصفٌ : « ذى جنة — الله البديع ، بأرضه » ما غالى !

قسطنطين يوسف

---

(١) « الاسترك » Styrax هو شجر يستخرج منه لبان جاوى ذو عطر زكى . وهو يكثر فى صلنفة وغاباتها . .

(٢) إشارة إلى الدرب الذى شقوه حول هضبة تملأها غابة عذراء ، وقد أطلقوا عليه هناك « درب العاشقين » لتخييم الأشجار الباسقة عليه ، ولمناظره البهجة المطلة على الأودية . ومنه يرى البحر الأبيض فى الأفق البعيد ، والساحل السورى الممتد إلى مسافة بعيدة ، وفى أوقات الصحو تُرى جبال قبرص فى كبد الأفق .

من الأعماق

(وحى البحر عند شاطىء اسبورتنج برمل الاسكندرية)

جلستُ اليوم فى شجنٍ ... وموجُ البحر يُنشدنى
قصيدَ الخُلد منبعثاً ... من الأعماق والفتن
ووحيُ البحر خمرتهُ ... إلٓهُ الشعر يسقينى
هواءُ البحر نفحتهُ ... كلحنِ الماء تشجينى
ومعنى الشمس فى الماء ... يزكينى ويهدينى
وزرقةُ مائهِ الصافى ... بأحــلامٍ تناجينى
وهذا الافقُ فى سعةٍ ... كعمقِ البحر يسبينى
ومرْأى البحر فى عِظمٍ ... كمعنى الخلد يُحيينى
ومَرأى الصخر منفرداً ... كمعنى النسكِ فى الدينِ
وضحكاتُ الألى سادوا ... على الشطِّ تغذّينى
وهذى الغادةُ الهيفا ... ء تمشى فى قرابين
ووثبُ الحسن فى الماء ... كوثبِ النورِ يغوينى
جمالٌ كلهُ فِتنٌ ... تناهت فى أفانينِ

مصطفى عبد اللطيف السحرتى





هل تنظرين ... ؟

هل تنظرين لمغرمٍ صبٍّ — يرجو ، ويأمل نعمةَ القرب ؟
أيقظتهِ من بعد غفوته — وأثرتِ فيه دواعيَ الحبّ
وتركته من بعد هزأته — حيران من جنب الى جنب !
إني لألمح منك عاطفة — مشبوبة فى البعـد والقرب
ويهزني شوقاً ، ويأسرني — سحرٌ يموج بصوتك العـذب
ما هذه النظرات حالمـةً — تسرى مهوّمة الى قلبي ؟
ما هـذه الأنوار مشرقة — تزرى بنور الشمس والشهب ؟
ما هـذه القامات صـاعدة — كالغصن ماس ومال من عجب ؟
ما هذه الدنيا التى سفرت — فى طلعـة فتانة تسبي ؟
إني لأصبو ثم تزجرني — عمـا أريد بواكر الشيب !

***

هـذا الفؤاد وقد نزلت به — قد ملّ طول الهجر والعتب
فاحنى عليه فقد غدا غرضاً — أعيا الاساة ، وحيلة الطب
وتعهـديه بـكل عاطفة — تنسيـه ما عاناه من خطب
ماذا عليك لو شفقت به — وقتلت فيـه بوادر الريب ؟
وجعلته فرحان مبتهجاً — طلق المحيـا ، دائم الوثب
وسفرت عن أملٍ له نضر — مل النواء بحومة الغيب ؟
إن تأخذى بيـدىّ مرحمـةً — فلأنت فى هذى الدنى حسبي !

عبد العزيز عتيق



الملوان [١]
أو
صراع الزمن

نشرَ الفجرُ ضياه ومَضى — بين أنقاض الدُّجى بلوٍ نخورْ
أشعل الأفق بنيران العضا — فتولى الليلُ مدحوراً كسيرْ
وجموعُ الطير ، تشدو طربا — في نضير الرّوض ، أو عرض البطاحْ
منهمُ يبكي الليالي ندبا — وفريقٌ سَرّهُ نورُ الصباحْ

***

توّجَ الصبحُ رؤوسَ الأُفقِ — وأطارَ الشمسَ قرنَ الذهبِ
ومشى يسحب ذيلَ الشفقِ — حليةَ الحرب « وغار » الغلبِ
لفظ الصعدا بفيحٍ عبقِ — رقصَ الدّوحُ له من طربِ
ذاك نشرُ الفجرِ أو ريح الصّبا — ساقها الإصباحُ من بعدِ الكفاحْ
صرعَ الليلَ فولى هربا — وأراحَ الكونَ منه واستراحْ

***

كان بينَ الصبح والليلِ خِصامٌ — وصراعٌ من قديم الزمنِ
قيل إن النورَ حقٌ وسلامٌ — وظلامُ الليلِ اسُ الفتنِ

---

(١) الملوان : هما الليل والنهار

ودَحَى الحرْب سجالٌ وجِمامْ وليـالٍ أدْرجَتْ فى كفنِ
طوَّحَ الدَّهرُ الليـالى القشبا كانت الشمسُ بها كأسا وراحْ
وأدَارَ القومُ فيها ذهبا ولقوْا فيهـا هناءً وانشراحْ

***

شهدَ الليلُ عناءَ العاشقِ وَحديثَ الحُبِّ فى جُنح الظلامْ
ورأى منتفضاً من حالقِ ما أتاهُ الناسُ من شرٍّ وذامْ
فتولّى سـابقاً فى لاحقِ وأعادَ الدَّهرُ تاريخ الأنامْ
فاذا الصُّبحُ أتى مرْتقبا لبسَ السفَّاحُ أثوابَ الصلاحْ
وَمشى فى الناس يدْعو حرَبا لأثيمٍ بَين بُرْديه سِلاحْ

***

أترَى الدهرُ : نهارٌ ساحرٌ وَدُجَنٌّ لابسٌ بُرْدَ الحِـدَادْ
وصِراعٌ هالكٌ أو ناشرٌ منهما الآخرَ ، والعيشُ بَدَادْ
أم حياةٌ ضلَّ فيهـا حائرٌ ليس يَدرى عقلُه أمر السدَادْ
يَنقصُ الأيامُ منا نهبا عمرنا الغـالى كحقٍّ مستباحْ
نأمَلُ العيشَ قريراً طيّبا أىَّ رغدٍ فى صراعٍ وكفاحْ !!

توفيق أحمد البكرى



نقد وتعليقات

انصاف الشباب

كنا أشرنا الى الوعد الذى تلقيناه من غير واحد من أعلام الأدب بمعاونتنا على إخراج آثار السلف الصالح من شعر ونقد أدبى ، وما نزال على هذا العزم متى صحت عزيمة أولئك الأفاضل .

وقد رأينا - الى جانب هذا - المساعدة فى انصاف جهود الشباب وُفقنا الى رصد مبلغ من المال باسم (ندوة الثقافة) ليتناوب أعضاؤها فى اقتراضه تباعاً لاخراج مؤلفاتهم القيمة ، على أن توجّه العناية بصفة خاصة لاخراج مؤلفات الشباب الذى كثيراً ما يذهب ضحيةً لأنانية الشيوخ . وقد لاقت هذه الخطوة ارتياحاً كثيراً ، ولم نقرأ عنها الا كلمة نقد لأديب عدّ ذلك تغريراً بالشباب ، كأنما الحكمة العليا هى فى ارضاخ هذا الشباب للدعاية والاعلان لهذا الزعيم أو لذاك ، وأما صيانة كرامة الشباب وشخصياتهم الأدبية وتشجيعهم على الانتاج المجدى وفتح سبيل الرجولة الحقة أمامهم فهو التغرير بهم !

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحكٌ كالبكا !

ألقاب الشعراء

لعلنا أول من حارب التهالك بين الشعراء على الألقاب والطنطنة ، حتى أننا أبينا على المرحوم أحمد شوقى بك رئيس جمعيتنا الأول لقب أمير الشعراء ولو أنه أحرز ذلك اللقب فى مناسبات خاصة لها دواعيها ، ولكن اللقب ابتذل وأسىء تفسيره فكرهناه ودعونا الى التخلى عنه وعن أمثاله . وقد أبينا على رئيسنا الحاضر خليل مطران لقب شاعر الأقطار العربية وعلى الشيخ عبدالله عفيفى لقب كبير الشعراء وعلى عباس محمود العقاد لقب أمير الشعراء الذى كان هو نفسه والدكتور طه حسين يستنكرانه من قبل - ذلك لأننا نعتقد أنّ حب الفن وحب الطنطنة لا يجتمعان ، وأن خير الشعر وكرامته فى أن تكون له جمهورية خالصة . ولقد حدث ما كنا

نحاشاه فقد حوت جريدة (صوت الأحرار) البيروتية أقسى التهكم فى النقد لصبيانية الأدباء المصريين ... فالى متى هذا العبث ؟

الهواء النقر

كتب فاضل من الشباب المنصورى هو الأديب عبد الفتاح حمودة مقالين فى نقدنا بجريدة (الوادى) لم يتح لنا الاطلاع الا على ثانيهما وقدختمه بهذه العبارة: «ونرجو أخيراً أن يغتفر لنا الشاعر اذا كنا قد أسأنا فما قصدنا الا الاصلاح، فان كان كذلك فقد وضعنا فى صرح النقد الحر لبنة، وإن كانت الاخرى فنرجو ألا يخطئنا التوفيق مرة أخرى».

ونحن ازاء هذه الروح الطيبة نعلق بكل صراحة على كتابته، ونسقط ما تلقيناه من ردود شديدة على حضرته مع شكرنا لحضرات الكتاب، وإن لم يسرنا قيام هذا النزاع حولنا على غير طائل، راجين بعد هذا أن يتقبل ملاحظاتنا قبولا حسناً :—

(١) نلاحظ أن جريدة (الوادى) لم يفتها نشر هذا النقد المنتقص لنا فى مكان بارز بعناوين ضخمة مع أنها أسقطت من قبل تنويهاً بأدبنا فى مقال للشاعر محمد احمد رجب وقد شكا الينا حضرته من هذه الفعلة. وبطبيعة الحال لانتهم صديقنا الفاضل الدكتور طه حسين بشىء من ذلك، كما لانتهم أحداً من أفاضل محرريها، ولا نقول ما يقوله غيرنا من أن الحظ فى (الوادى) هو لذلك الشاعر أو الكاتب الذى يكون له مريد أو مريدون فى قلم تحرير (الوادى) فيخلقون له دائماً جو التقريظ المنشود ولغيره عكس ذلك — لا نقول شيئاً من هذا، وانما يكفينا أن نقول إن قلم تحرير (الوادى) يزدان بمحرر اشتهر بتزويره قصيدة من أخش الطعن فينا وفى (جمعية أبولو) باسم المرحوم شوقى بك، وبشرح قصيدة هجاء قذر ينظمها مثل كامل كيلانى عنا، وحسبه أن يكون كفيلا بتسميم جو (الوداى) ضدنا واغفال أبسط التقاليد الصحفية من حضرات الزملاء الأفاضل نحونا.

(٢) تدل كتابة ناقدنا الغيور دلالة واضحة على حاجته الصريحة الى الاستيعاب الطويل لأصول النقد قبل أن يغامر مثل هذه مغامرة على قلة استعداده لها. أليس عجيباً مثلاً أن يجازف حضرته بأحكام ونصائح خلقية وهو لايعرف عن كثب شيئاً عن خطتنا وأخلاقنا ؟ أليس من العيب الفاضح أن يكتب مثله عن

استجلاب الثناء « وشيلنى وأنا أشيلك » ونحو هذا الهذر الذى لايليق أن يُكتب عن أديب يلتفّ حوله عشرات من الشعراء والكتاب ويبث تعاليم الاستقلال والشخصية الأدبية فيهم بكل ما وسعه من قوة ؟ وهل يعتقد حضرته حقاً بأننا أهل لمثل هذه الخطبة المنبرية بعد ما بذلناه بايثار كلى لخير الأدب المحض ولو ضدّ أنفسنا ؟ انّ كتابته هذه هى بمثابة النقد التأريخى لظاهرة اجتماعية أدبية . فكيف يبيح لنفسه هذه المجازفة وهو يجهل خطتنا كلّ الجهل ولم يحتكّ بنا مطلقاً ؟ ! إذا شئتَ أيها العزيز أن تنتقد فانظر الى الأقلام المأجورة والدعايات المكشوفة للإعلان المتواصل فى الجرائد عن تآليف هذا المهرّج أو ذاك بأساليب يندى لها وجهُ الحرّ ، ودعك من التهجم على التصانيف الأدبية البريئة إذا ما تضافر على إبرازها رجالٌ تضمهم مدرسة ثقافية واحدة وبينهم الاعجاب الصريح المتبادل .

(٣) إنّ ملاحظاتك أيها العزيز هى بمثابة ملاحظات أبجدية لا يجوز أن تتسع لها أىُّ صحيفةٍ فضلاً عن صحيفة سيارة كالوادى . أليس من المضحك حقاً أن تقول عن رجل فى العقد الخامس من عمره وله من المرانة الشعرية أكثر من مرانة ربع قرن أنه يرصّ كلماته رصّاً ويرضخ لضرورات القافية ؟ ! أليس من المدهش أنك لا تفهم حتى روح قصيدته التى يودّع فيها وطنه وأحبابه وهو على اليمّ فى سفره ؟ ! أليس من العجيب أن تعكس معانيه عكساً ثم تجىء فتنتقدها فى غير تورُّع ؟! أليس كلُّ هذا مظهراً غريباً من مظاهر الغرور لافتراضك أنّ مَنْ تنتقده هو دونك ذكاءً وتأمّلا وحساسية ؟ !

(٤) يَعُدُّ الشاعرُ المستوعبُ جميعَ شعره بمثابة وحدةٍ متماسكةِ الأجزاء ، ومن ثَمّ كان له أن يكتفى بصورةٍ عامةٍ لمشهد من المشاهد فى إحدى المناسبات ولا يرضى الا بصورة مفصّلة فى مناسبة أخرى . فكيف تبيح لنفسك أن تسخر من قدرتنا على وصف الطبيعة مع أنّ فى ديوان (أنداء الفجر) ـ على صغره وعلى طفولته ـ ما فيه من تقديس الطبيعة ووصفها ؟! هل هذا من الصدق والانصاف ؟ ! أما كان الأولى بك أن تدرس نفسية الشاعر والعوامل الوجدانية التى تكيّف شعره بدل أن تتورّط هذا التورّط الغريب فى مؤاخذات لا معنى لها ؟

(٥) يظهر أنّ حُبَّ النقدِ الأدبى — على غير استعدادٍ له — قد تفشّى بين أدباء الشباب كما تفشّى حُبُّ الصحافة من قبل ، وبذلك أصبحنا لا نظفر الاّ بالأبجديات وبتشويه أغراض الشعراء والمؤلفين وانتقاص فنّهم ، مع أن العيبَ عيبُ النقّاد

أنفسهم الذين ليست لهم مؤهّلات التعمق فى نقدهم الى الدرجة الملموسة عند الغربيين أو إلى ما يقرب منها . وازاء هذه الحالة فالفراغُ الصحفى الذى يُسمح به لما يُنْعَتُ بدراسات « حرّة » هو فراغٌ ضائعٌ لا محالة ، إذ لا نتيجة له سوى التشويش على الأذهان والتعالى على حساب الأدباء المبدعين والضحك على الذقون!

رواد الشعر الحديث

أثار هذا الكتاب الذى أصدره الشاعر الناقد مختار الوكيل فى الشهر الماضى ضجة كبيرة فى الأوساط الادبية وخصوصا بين من يعشقون الشعر الكلاسيكى فرأى قوم انه كان من الضرورى ذكر شوقى بين من ذكرهم المؤلف ورأى المؤلف أن شوقى رجل كلاسيكى النزعة فى جميع شعره تقريباً وهو متأثر بمطران فيما عدا ذلك ، وأما عن مسرحيات شوقى فالمؤلف يرى أنه متأثر فيها بأدب اسماعيل عاصم ونجيب الحداد ، والجميع لم يبرعوا من الناحية المسرحية ، كما أن جميع نظمهم كلاسيكى الصورة ، والخلاصة أن شوقى فى رأيه قنطرة بين القديم والحديث فهو بين بين . وليس فى هذا أى مطعن فى مواهبه الشعرية ، وانما فيه على اعتبار المؤلف تحديد دقيق لمزاجه ومناحيه ، وليس مجرد تأليف رواية شعرية مما يدخل الشعر فى الجو الحديث كما لا يعدّ أى وصف للمخترعات الحديثة من فنون الشعر الحديث اذا كانت الروح نفسها قديمة محافظة .

وقد سُرَّ أغلب النقاد بما ظهر به المؤلف من ضبط القلم والرغبة الصريحة فى الانصاف فلم يفته التنويه بفضل العقاد ومواهبه بينما آخذ العقاد من قبل على بعض الهنات والتصرفات فى مجلة (أبولو) وغيرها ، وانّ من روح الإيثار(self- denial) أن يكتب شاعرٌ من شعراء الشباب هذا الكتاب النقدى رغبةً خالصةً منه فى شرح المذاهب الشعرية الحديثة وتعيين رُوّادها فى الوقت الذى اختلط الحابل بالنابل وتفشّتْ الأنانية بين النقاد والمؤلفين .

معايب الانتقاد

ننتهز فرصة البداية بمجلدنا الجديد لنرحّب بكل نقد صريح يوجّه الى تحرير هذه المجلة وإخراجها ، معتبرين ما يمكن أن يُظَنّ معايب أو شوائب فيها من ملازمات الاتقان لا الاهمال ، فان الكمال لله وحده كما أن الآراء الأدبية والفنية تختلف كثيراً فى الأحكام . ومبدؤُنا دائماً التدقيق والتمحيص فى كل ما يُنشر ، ولنا بعد ذلك غرضٌ أدبيٌّ صريحٌ من نشره .



السيرة النبوية

عُنيت وزارة الأوقاف المصرية عنايةً مشكورة بوضع جائزة مالية قدرها مائة جنيه للمسابقة فى وضع نموذج عصرىّ بليغ للسيرة النبوية يصلح للترتيل بدل السير القديمة المشحونة بالكثير من الخرافات .

ولما كانت صياغةُ السيرة النبوية سواء نثراً أم نظماً هى فى صميمها صياغة شعريةً ، فنحن ننبه المسلمين من أعضائنا الذين ينسجم ذوقهم الفنى ومثل هذا العمل المجيد الى المبادرة اليه ، فيحسنون ويستفيدون على أى حال استفادة المصلح المطمئن الضمير بغضّ النظر عن المكافأة المالية الموقوفة على الفائز الأول .

لقد كان النبي ﷺ مثالَ الجمال فى تصويره وفى شمائله بشهادة التاريخ الصحيح كما كان انساناً عظيماً فى رجاحة عقله وبُعد نظره وغرّ مآثره . وهذه كلها دواعٍ نبيلة للشعر المؤرّخ الوصّاف ، وللنثر الفنى البليغ . فليتقدَّمْ الى هذه المسابقة الطيبة كلُّ مَنْ آنس فى نفسه القدرة والجاذبية الى هذا العمل الفنى المجيد ، وأملنا أن يكون السبّاقُ المجلى أحدَ شعراء (أبولو) النابهين .

ذكرى اسماعيل صبرى

سنخصّص العدد الآتى من (أبولو) أو معظمه لذكرى المغفور له اسماعيل صبرى باشا لمناسبة مرور عشر سنواتٍ على وفاته . وقد تناوله بالدرس الشاعر الشهير أحمد محرم دراسةً مستفيضةً تُعدّ من أبدع ما كُتب عن الفقيد العظيم . ولعلنا نتلقى من أصدقائه بعضَ الصور التاريخية الجديدة بصحبة هذه الدراسة النفيسة التى نوجّه اليها سلفاً أنظار القراء .

الياذة اسلامية

يُعنى الشاعر المشهور أحمد محرم وكيـل (جمعية أبولو) عنـاية خاصة بالتاريخ الاسلامى وقد وجّهها أخيراً الى وضع إلياذة اسلامية كبرى. وهذا العمل الجليل مما ينوء به أفراد فضلا عن فرد واحد كيفما كانت عبقريته ؛ ولـكن لشاعرنا القدير من الطاقة الشعرية واللغوية ومن المحبة البالغـة للاسلام ما يجعـله أهلا للاضطلاع بهذا العبء الجسيم . بيد أن من الانصاف أن نقول إنّ عملاً أدبياً اسلامياً من هـذا الطراز الفذّ يحتاج الى التوفّر التام عليه ، وهـذا لن يكون بغير المساعدة الماليـة المعقولة من وزارتي المعارف والأوقاف ومن الجامعة الأزهرية ، وهو ما نرجوه من صاحبي المعالى وزيريها الأديبين العالمين ومن فضيلة شيخ الأزهر ، خصوصاً ومصر معدودةٌ مركز الثقافة العربية الاسلامية فمن غير المعقول أن يُخذل شاعرٌ من أكبر شعرائنا فى هذا الجهد العنيف الذى يريد به تتويج سمعتنا الأدبية فى العالم الاسلامى .



على الناى

دَاعِي النَّايَ يُشْجِنُ — قد يُسَرِّي النَّايُ عَنِّي

إن فى جَنْبَيَّ قلباً — نائحاً شبهَ مُغَنٍّ !

وعلى رأسِيَ طيرٌ — قامَ يَشدُو وَيُمَنِّي

رَجِّعِي الحانَ طيرِى — أوْ خُذِى عَنْ لحنِ أَنِّى

وَدَعِى النَّايَ يُتَرْجِمْ — لِأَنَاشِيدِى وَفَنِّى !

***

هَجَعَ الناسُ وَلَمَّا يكتمِلْ بالنومْ جَفنى
ما نأى شخصُكِ إلا وَدَنا طيفُكِ منّى
قد يُسَرِّى البعدُ وَجدِى فيثيرُ الطيفُ حُزنى
يا لَعُمرٍ قدْ تَقضَّى بَين يأسٍ وتمنٍّ !
وكأنّ العُمرَ عهدٌ بَين آلامى وبينى !
لا أطيقُ المَنّ لكنْ إسمحى لى ثمّ مُنّى ؟!

أحمد فتحى

البعد

أوحَى لعينىّ السهرْ سِحرٌ بعينيهِ استقرّ
فشكوتُه وشكا إلىّ سهادنا حتى السَّحَرْ
وكم اختلفنا للرُّبى فى ظلّ ليلٍ نستترْ
ثم ارتمينا نرتوى من راحنا بين الزهرْ
لله عهدٌ ضمنا أقصاه فى الغيب القدرْ
بكت الطيورُ لبعده وله السحاب قد انفطرْ
ولقد ذوى الوردُ النضيـــــرُ وجفّ فى الروض الشجرْ
إنْ غيبوه فاننى ألقاه طيفاً فى الفكرْ
وأراه فى غيمِ الدمو عِ اذا استفزتها الذِّكرْ
أهديه ما مرّ النسيـــــم لواعج الشوق الأحرّ
وأنا الوفىّ لعهده إن غاب عنى أو حضرْ

حسين عفيف



وحى الشاطىء

بالله حدّثنا حديثك يا جمالُ بلا تقيّة
ما ذا رأيت على (ستانلى باى) بالاسكندرية ؟

* * *

أشهدتَ أنصافَ الكوا مى ينتثرن على الشواطى
مثل الكواكب فى السّماء أو اللآلىء فى البساط ؟

* * *

أأرحتَ جسمك من متا عبه ، وقلبك من أساهْ ؟
وكرعتَ من ماء الحيا ة فعدت ممتلئاً حياهْ !

* * *

أم عُدْتَ موقوذاً بسهم صوّبتْهُ اليك عينْ ؟
فعرفتَ أنّ على جفون الغيد حيْناً أىَّ حينْ

* * *

ماذا لقيتَ من النهود ؟ وويلتاه على النهودْ !
متنزّيات فى الترائب كالولائد فى المهودْ !

* * *

نزَقٌ يمورُ بها على رغم الصلابة والجمودْ !
برمَتْ بدغدغة الوجو د ، فآهِ من عبث الوجود !

* * *

مترهبـــــاتٍ فى حِلًى بيضٍ قلانسهنَّ سـودْ !
يُرْحَمْنَ مِن طولِ القيا مِ وليس يَعرفن السجودْ !

على أحمد باكثير

إمرأة . . . .

مخدُوعةٌ وخادعـــةْ مَروعةٌ ورائعـــةْ
مَقطوعةٌ وقاطعـةْ مَبيعـــةٌ وبائعةْ
ثائرةٌ ووادعـــةْ مُطاعةٌ وطائعـــةْ
عِطرُ الشرورِ اليانعةْ روحُ الجسومِ الجائعةْ
طيرُ الشقاء الساجعةْ رَوْضُ الفتونِ الذائعةْ
شمسُ الأمانى الساطعةْ صرحُ الأمانى الضائعةْ

* * *

بنتَ الليالى الرادعةْ تعـلى يا شائعـةْ !

مصطفى كامل الجنزورى





تكريم ناجى

أولم كثيرون من المعجبين بالشاعر الدكتور ابراهيم ناجى وكيل (جمعية أبولو) وليمة عشاء فاخرة بمطعم سانت جيمس بالقاهرة فى منتصف يونية الفائت تكريماً لنبوغه لمناسبة صدور ديوان (وراء الغمام) . وقد اشترك فى التنويه بفضله غير واحد من الشعراء والفنانين بحيث لو جُمع ماقيل فى تلك الحفلة الباهرة لكان كتاباً أدبياً نفيساً لايقل فى حجمه عن عدد ممتاز من أعداد (أبولو) . ولذلك نحث لجنة الاحتفال - على سبيل الذكرى والفائدة الأدبية - على إخراج مثل هذا الكتاب الأدبى التذكارى .

وما من شك فى أن ناجى شاعر غنائى « مِثالى » تأثر به غير واحد من الشعراء الغنائيين تأثراً عميقاً وهذا من دواعى تكريمه الصادق . والشعراء « المثاليون » بيننا قليلون ، وعلى سبيل البيان نذكر منهم خليل مطران وعبدالرحمن شكرى . فقد تأثر بالأول خليل شيوب وايليا أبو ماضى غاية التأثر ، كما تأثر بالثانى عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى . وهذه الصفة « المثالية » وحدها جديرة بالتنويه والتكريم ، فضلا عن مزايا الشاعر الأخرى التى يحوم النقاش حولها بين نقاد الشعر حسب ميولهم وأذواقهم الفنية التى تختلف بطبيعة الحال اختلافا كبيراً وتختلف تبعاً لذلك أحكامهم . ولكن الصفة « الفنية المثالية » ذاتها يجب أن تكون فوق كل خلاف ولايجوز أن تغمط حقها مهما طغت الشهوات والأهواء بين النقاد .





الألحان الضائعة

نظم حسن كامل الصيرفى ، ١٠٤ صفحة بحجم ٢٣½ × ١٥½ سم .
مطبعة التعاون بالقاهرة . الثمن ٥٠ مليماً

في ذمّة الفنِّ ألحانٌ تضيع ، وفى أصدائها قطعٌ من قلب فنّانِ
تجرّع الألم الدامى فحوّله إلى ترانيم عشاقٍ وألحانِ
يُسقى العذاب ، ويسقى الناس أكؤسهم صفواً من النور فى ظلماء أشجانِ

***

هكذا يغنى الصيرفى في واحته المنسية ، وهكذا تمر لوحته الخيالية بين ناظرى فى عزلتى بالريف ، فتنبعث منها أنات صارخة ، هى شكوى الفنان من بيئته العمياء التى لا ترفع أجفانها إلا على قرع النواقيس يقلقنا بها عشاق الشهرة الذين لم تواتهم الطبيعة بأدب رفيع يغنيهم عن تلك الأساليب الدنيئة من طلب المجد على حساب أدب غثٍّ رخيص ، فراحوا يقيمون لأنفسهم نصباً من مدائح المفتونين المخدوعين من جهلاء القوم فيثيرون فى جوّ الفن ضجيجاً وصخباً يضمحلّ تحتهما مجد الفنان الأصيل الذي خلقَ ليبتدع ، وليغذى الروح الانساني بإلهام فنه وقدرته ، ولكن هناك أبصاراً نفاذة تخترق تلك الدعايات الكاذبة الى ذات الفن ولبابه ، فتقدّر منه ما يستحق التقدير ، وتطرح ما دون ذلك ظهريا . وإني لأحسّ بعض من الألم كلما أمعنت فى مطالعة (الألحان الضائعة) ولكنه الألم العبقرى اللذيذ ، الذى يترعه الشاعر على ألحانه ، فيتطاير منها إلى النفوس العالية التى تجد فى مثل هذه الحياة العميقة الهادئة لذة ومتاعاً للروح ، تشوبهما تلك الأطياف السود التى تتراءى فى ظل إنسانية هوجاء طغت عليها المادية فأتلفت منها الجانب الروحى الذى لا ينهض الشعر — والفن على الاطلاق — بدونه ، والتى ينشرها الزمان على كثير من أرواح العبقريين من نوابغ الأمم فيؤدون رسالاتهم فى صمتٍ وقد عزفتْ عنهم الحياة

فلم تصغ لهم ولم تتلفت إلى فنهم الموهوب ، فتتحول دفة الفن من أيديهم دون أن يشعروا الى سخط على الناس والزمان ، ويخسر المجتمع شيئاً كبيراً من حضارة الفكر لو سعدوا بالانصاف والتقدير لما تخلفت منها ذرّة هباء ... اسمع للصيرفى فى قصيدة « الشاعر والزمان » :

قد عربد الدهر فلم يستمع للعازف اللحن ، ولا الشاديه
وقام فى ثورة أحلامه يطعَنُ فى طغيانه ساقيه
وأنه المطعون فى قلبه مطموسة فى الصرخة الداويه
ما الشاعر الموهوب إلاّ دَمٌ على نصالِ القوة الطاغيه

وأصخ إلى تلك الألحان الجريحة التى تتدفق من أبياته فى صدق شعور ، وانسجام معنوى دقيق لا يدركه إلا ذو النظر الشعرى البعيد ، فما أنت سامع إلا بكاء فنان جازع من إجحاف بيئته وعدم تقديرها لفنه ، إنها مصر ! وانه الأدب المحض اللباب يشقى فى وسطها الملوّث الدنس الذى عاث فيه جماعة من أدعياء الأدب والشعر لن تستطيع مجاراتهم فى الشهرة التى يشترونها بدسّهم وتفاقهم وملقهم ولو حملت فى يمينك روائع شكسبير أو إلياذة هومير .

أظهر ما يتجلى فى هذا الديوان نزوعه الى المعانى التجريدية التى قلما ينضجها الشباب ، وتلك ظاهرة جليلة فى الشعر الحديث نرحب بها ونمهد لها السبيل لتأخذ مكانها من نفوس الموهوبين من شعراء الشباب ، ومن أخص ميزاتها التسامى عن مدارك العاديين فلا يحس بعذوبة الفن فيها وتساميه إلا ذوو المدارك العالية لأنهم بإزاء فن عال خصيب ، لم يهيأ للتسلية واللهو الوجدانى الضحل الذى يطرب له العقل الساذج السريع التنقل ، وإنما خلق ليكون مسرحا للنظر الشاعرى العميق الذى يلتمس الشعر إنسانيا عاليا يتخلص من ربقة القيود القديمة التى استغلت قرائح الشعراء للمناسبات وأجبرتهم على النظم فيها إجباراً فبلينا من تراثنا الأدبى القديم بشعر تاريخى يسجل الحوادث تسجيلا ، أما الوتر الفنى فلقد ظل معطلا الى عهد قريب حتى هزّه فريق من شعرائنا المجددين ، نعتبر الصيرفى من شخصياتهم الناهضة ، وقد مجّد الشعر فى رسالته بالألحان الضائعة تمجيداً غالياً يدل على أن شاعرنا مخلص لفنه يستوحيه من دقائق تصوراته ذات الصلة القوية بحياته الشخصية الخاصة ، فالصيرفى ذو الجسد الشاحب ، والعينين الباهتتين الغريقتين ، هو الصيرفى

الذى يكتب للربيع أغانيه السبعة فيندب فيها ضيعة شعره ، ويتوجع فيهـا للشاعر الموهوب تبتلع الحياة ألحانه ابتلاعاً ، فتارة يقول :

يا أغانى الربيع فى البلد الضاحك باكٍ لم يستمع لرنينك ‍!

وتارة يقول :

يا أغانى الربيع عندكِ وزن　　للنشيد الذى تنوِمىَ وزنه
كان يصبو الى سمـاعك بالأمس ليصحو من رقدة الموت فنه
فاذا العود لا يردّدُ لحناً　　واذا القلب ليس يُسْمِعُ أنَّه ‍!

وتارة يقول :

قد سئمتُ الألحان ينشدها النا　　سُ بجهـل مضاعفٍ مفضوحِ
وتطلبْتُ من فؤادى شعراً　　غير شعر الورى بعيد الطموحِ
يا أغانى الربيع . . حوّلتُ نفسى　　أغنيـاتٍ من قلبىَ المقروحِ
هِىَ لحنى أضعته فى فضاء　　ميّت الحس والصدى كالضريحِ

وهو الصيرفى الذى يقول فى قصيدة (دعينى) :

وماذا يفيد السكون الجميلُ　　اذا فقد الكونُ صوتَ المغنّى ؟
وهل تنفع العود أوتارُهُ　　اذا لم تُهزَّ لترديد لحن ؟

ويقول فى قصيدة (الشاعر) وهى رسالة قيّمة تعد قمة النضوج الشعرى فى ديوانه :

أيخلد الشاعر فى جنـةٍ　　أصداؤه فى أفقها فانيه
ما قيمة الفردوس إن لم يذِعْ　　فيها عبيرُ الأنفس الصافيه ؟!
سئمتها يا ربّ واستثقلت　　روحى حياة الجنة الغافيه

فيشعرنا بتقديسه ، وانه المرتبة الروحية العليا للسعادة التى ينشـدها المنعمون فى الفردوس ، ولا عجب أن نلمس ذلك فى الألحان الضائعة وصاحبها القائل فى إبداع وسموّ تصوير :

وما العطرُ إلا أنةٌ وتوجُّعٌ　　كأصداء أنغامى ، ورجْع شكاتى
يغنى شجىُّ القلب والناس حوله　　طروبين بالانشاد والنغماتِ !

وقصيدة (وحى الشعر) من روائع شعره الذى يجدد فيه فنه وشببَ بأغانيه التى تنتشله من هذر الحياة تشبيب العاشق المفتون ، ولا ينضج الفن إلا إذا انسابت فى جميع دقائقه فتنة الفنان به ، ورضاه عنه مهما عزف الناس عن روائعه الخالدة ، فالايمان الصادر من قلب الشاعر بأغانيه هو الحجر الأول فى أساس خلوده ، ومن أروع ما قال فيها مخاطبا وَحْيَ شعره :

أيها الجاذبى من الهذَر الدا وى إلى عرش ربة الألحانِ

ومحيطى بكل ما يملأ النفـس ضياءً ، وناشراً إيمانى

أنتَ وَحىُ الشعر المرفهُ عنى فى حياةٍ أجتازها كالأغانى

أنا أشدو .. والجوّ يبلغُ شدْوى وأغنى .. لكن إلى ذوبانِ !

وأحب أن يتأمل القارىء معى فى البيت الأخير ليشعر بما فيه من زهادة روحية ، ولوعة عميقة على تلك الألحان الضائعة التى غنّى بها الصيرفى غير نادمٍ على تلك التضحية الانسانية التى تعدّ المبدأ الأسمى للشاعر لكى يرقى بفنه عن سخط الجمهور أو رضاه ، ويحلق فى سمائه معتزاً بشعره ، متأبّيا به عن الإسفاف لتملق الجماهير العاجزة عن الطيران إليه فى آفاقه المنيعة ، وترى ذلك واضحاً فى آخر مقطع من قصائد الديوان وهو « التضحية » :

هنا فى هيكل الحبّ أحقّرُ مبـدأ الفردِ

وأحرق عنده قلبى بخوراً طيّبَ النَّدّ

* * *

ولستُ بنادمٍ يوما على قربانىَ الضائعْ

أجلّ الناس مَنْ يظما ليُرضِى الظامىءَ الجائعْ !

إنّ شاعراً هذا مبدؤه لن تضيع ألحانه مهما تصاممتْ عنها الآذان، والدهر كفيل بإرهاف أسماع المجتمع اليها ، تنزلق على أعراف الأذهان يوماً بعد يوم حتى تصطدم بعقول المفكرين فترسب إلى الأعماق لتستاف عبيرَ الخلود ! فإذا كان الصيرفى قد برع فى ذلك الفن من فنون الشعر الواسعة ، ونحى فيه مَنْحى الرمزية التى بدأت تتسرب إلى شعرنا الحديث ، فأجاد فى كثير من قصائده أمثال « الواحة المنسية » و « السحابة المغترّة » و « عقب السجارة » و « الشجرة العاربة » و « الربيع

الباهت » فإنا نهنئه على ذلك التراث الجديد الذى أضافه الى كنوز الشباب ، ونرجو أن تنضج بقية الفنون الشعرية على يد شعراء الشباب الموهوبين كلٌّ فيما هيّأت له عبقريته ، على ذلك المثال الجديد الذى ركّز به الصيرفى قوة الشعر الحديث .

وقد نوّه الشاعر فى كلمته الأولى بالديوان إلى تخلّصه من الذّوق العروضى الى الذوق الموسيقى ، وتعجبنا منه هذه النّزْعة التى سبقه بها شعراء المهجر من السوريين الذين نغموا ألفاظهم الوديعة بمعانٍ سامية حسب ماتمليه أذواقهم الموسيقية فشممنا عبيرَ الشعر الأندلسىّ إبّان مجده ، وبودّنا لو يرتفع الشعر الحديث عن مستوى التقليد الأعمى لتراكيب العرب وصياغاتهم وأفكارهم فان لكلّ عصرطابعاً، وأن لكل أمة سِمَة ، وإذا فقد الشعر الحديث طابَعَ القوميّة وسِمَة التجديد الفكرىّ الذى تقضيه سنة التطوّر ، فقل عليه السلام ؟

محمود حسن اسماعيل

ما قلَّ ودلّ

بقلم أحمد الصاوى محمد – جزءان عدد صفحات كل منهما ٢٣٩ بحجم ١٧ × ١٢¼ سم – طبع بمطبعة دار الكتب بالقاهرة

للصاوى أسلوبان فى الكتابة ولكن له روحاً واحدة تتلمسها قريبة ظاهرة فى كلا الأسلوبين واضحة المعالم نهتدى منها الى شخصية الكاتب .

فأسلوبه فى القصة التى يكتبها أو فى القصة التى يلخصها أو فى الموضوع الأدبى الذى يدبجه شعرىٌّ موسيقىٌّ الرنين متأنق العبارة والمعنى .

أما أسلوبه فى كتابه الأخير (ما قلّ ودلّ) فهو أسلوبٌ جرَتْ فيه البساطة الى حدّ كبير ولكنه بعيد: البساطة ينطبق عليها الوصف الذى كان يوصف به شعر البهاء زهير، أى انها السهل الممتنع ، ولقد حاول كثيرون أن يقلدوا الصاوى فى هذه البساطة فخرجوا عن حدود الأدب ، وبعدوا عن خفة الروح فكانت مواضيعهم تخرج جافة لا تبعث الرغبة على الاستمرار فى القراءة ، وقد استطاع الصاوى بقلمه الرشيق أن يجتذب لمقالاته أكبر عدد من قراء (الأهرام) يطالعونها أول ما يطالعون من هذه الجريدة .



أحمد الصاوى محمد

وهذه المقالات استمدّ موضوعاتها من الحوادث اليومية ومن خواطر ازدحمت في رأسه إثر مطالعات أو مشاهدات وصاغها في سطور قلائل دلت على قدرته في تلخيص الفكرة واعطائها القارىء الذى أصبح عهدُ السرعة يدعوه الى أن يمرّ مروراً سريعاً بكل ما فى الحياة . على ان هذه الحوادث أو المشاهدات التى تبدو جافة



ستانلى باى

انه يتعرض لتهريب المخدرات ، ولكن لا يتعرض لتهريب النفوس ، ولا يتعرض لتهريب المخدر الأكبر : الجمال ، الحب !

استطاعت ريشة الصاوى أن تجول فى البعض منها جولات شعرية ترتدّ به الى أسلوبه الأول الذى عرفناه به أول ما عرفناه كما فى مقالاته « الفنون والجنون » و « الموسيقى » و « معنى الحب » و « أحلام طائر » و « أين قرّائى ؟ » و « السكآبة » و «الايمان والحب » و « المصير » و « دموع السماء » . ولننقل منها هذه الكلمة الشعرية :

« كلٌّ يأخذ من السماء رزقه ويأخذه حتى من دموع السماء ، ولقد شعرتُ أمس ببعض ، بكل الهناء . نسيت الدنيا بأفراحها وأحزانها وبنيت لنفسى دنيا ليس فيها الا السماء تبكى وقلبى يخفق ، فى خفوقه من الحاضر ومن الماضى ، فى خفوقه من الاحساس بجمال اليوم وروعة الأمس ، فى خفوقه من وعود الحياة ومن شجون الذكرى. هذا هو رزق الشعراء، وقد يسخر منه بعض الناس، وقد يعدّه البعض أضغاث أحلام ، ويعدّه آخرون خيالاً فى خيال ، ولكن الشاعر يفخر بأحلامه وخياله . فهو يعيش بها ولها . وهو يزيد الدنيا بها جمالاً . ولولا هذه الأحلام والخيالات لأصبح الوجود غليظاً كئيباً . ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير الشعراء ، بغير أحلامهم الجميلة وخيالاتهم النبيلة ؟ ! ترى ماذا كانت تكون الدنيا بغير سمائها التى تارة تظلم وتارة تصفو ، وتارة تختفى وراء سحبها وتارة تبدو لأن السماء لها أيضا خيالاتها وأحلامها ؟! وإلاّ لماذا تذرف الدموع ؟! »

أدب الرسالة

تُعدُّ (الرسالة) بحقٍّ من أظهر المجلات العربية لخدمة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، معبرةً باخلاص عن روح النهضة المصرية ، مصوّرة مظاهر العبقرية للأمة العربية ، مسجلةً ظواهر التجديد فى آدابها ، ويتعاون على تحريرها كثيرون من أعلام الأدب وبينهم غيرُ قليلٍ من شعراء (أبولو) ونقادها .

ومن ظواهر نشاطها الأدبى أخيراً زيادة عنايتها بالشعر ونقده . وقد وُفِّقَتْ كذلك الى مؤازرة الشاعر الكاتب الشهير السيد مصطفى صادق الرافعى برسائله الأسبوعية لها ، وهى رسائل فياضه بالنقد الأدبى البديع وبالذكاء اللماح والبيان الرائع .

فنهنىء الزميلة بهذا التقدّم المتواصل فى تحريرها ، ونهدى الى لجنة التأليف والترجمة والنشر والى رئيس تحريرها الفاضل تحيتنا وإعجابنا بهذا المجهود الأدبى العظيم

ديوان المعانى

للإمام اللغوى الأديب أبى هلال العسكرىّ ، جزءان : الأول فى ٣٦٨ صفحة، والثانى فى ٢٦٩ صفحة بحجم ٢٥×١٦ سم.
عُنيت بنشر مكتبة القدس بمصر

ما أغزر الأدب العربى ، وما أبدع روائعه : هذا ما ينطق به الإنسان كلما اطلع على مافى كنوز هـذه اللغه من آثار طيبة ، وينطق به عن غيروعى اذا كان الأثر قوياً فيه من عوامل الحياة مايضمن له الخلود .

هناك كتب تجمع من شوارد اللغة والأدب ومن جواهره الكثير ولكن لانحس فيها بحياة تدبّ ، فهى أشبـه بالدمى الشمعية التى تُعرض فى واجهات المحال التجارية فلا تستهويك فتنشغل عنها بما عليها من أزياء .

أما هذا الكتاب (ديوان المعانى) الذى ألّفه وصنّـفه الامام اللغوى الاديب أبو هلال العسكرى وقال فى مقدمته : « جمعت فى هذا الكتاب أبلغ ما جاء فى كل فنّ ، وأبدع ماروى فى كل نوع ، من أعلام المعانى وأعيانها الى عواديها وشذاذها» فهو كتاب جامع يجرى صاحبه فى البحث عن المعانى التى تكن وراء الالفاظ ويفسر من هنا قوة هذا البيت أو الجملة على البيت الآخر أو الجملة الأخرى ، كما يعرض لبيت امرىء القيس الذى هو أجود ماقيل فى الأدب العربى القديم فى وصف إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق وهو :

سموتُ اليها بعدمانام أهلُها سموّ حباب الماء حالاً على حالِ

فيأتى من بعده بيت وضاح اليمن الذى يقول فيه :

واسْقُطْ علينا كسقوطِ الندى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجرُ

ويرينا البلاغة فى البيت الثانى إذ يكمن المعنى القوىّ وراء اللفظة الساذجة ، فان سقوط الندى أخفى من سموّ حباب الماء لأن لسموّ حباب المـاء صوتاً خفياً ليس لسقوط الندى .

وقد جعل المؤلف كتابه اثنى عشر باباً خصص كلا منها لموضوع : فهو يذكر ماجاء فى الغزل وأوصاف الحسان من معانٍ رائقات نثراً أوشعراً ، ويذكر

ما جرى على ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر ، أو ماجرى ذكره على السحاب والمطر وصفات البساتين وغيرها، وهكذا . وفى كل باب ينتقل القارىء من مونق الى مونق .

مثل هذه الثروات الأدبية التى خلفها لنا أسلافنا يجب أن يُجلى عنها غبارُ السنين وتكشف للناس بدراسات قوية تطلعهم على ما وراء الالفاظ من معانٍ قوية كامنة لا أن تخرج للناس مستورة ، فان أدبنا غنى ولكنه فقير الى الدرس ، فقير الى العناية والبحث والاستقصاء .أما عرض الأدب عرضاً تجارياً فليس بمجدٍ على الأدب شيئاً اللهمَّ الاّ تراكم الصخور فى طريقه !

رُوّاد الشعر الحديث فى مصر

تأليف مختار الوكيل — ٨٤ صفحة بحجم ½ ١٧ × ١٢ سم . مع صوَرٍ ملونة طُبع بمطبعة الطلبة بالقاهرة — الثمن أربعون مليماً .

النقد الحقّ هو أحوج ما يكون اليه الأدبُ فى جميع عصوره ، ولا بدَّ أن تكون للناقد بصيرة نفّاذة تنظر الى أعماق ما تريد أن تنتقده ، ويجب أن تلم بموضوعها تمامَ الإلمام ، وأن يكون لديها الاستعداد أو يكون لديها ذوق فيما تنقده وميل الى ناحيته وتخصص فيه وترفع عن الأهواء والصغائر ، وإلا فان النقد حينئذ يكون بعيداً عما يحمل اسمه من معنى .

ولقد تصدّى الشاعر الناقد مختار الوكيل الى نقد أربعة من رُوّاد الشعر الحديث فى كتابه هذا فجلا طابع كل شخصية وما تمتاز به وما يلازمها ، وأظهر منها النواحى التى تميزها عن غيرها . وقد اقتصر على هؤلاء الأعلام لأنه جعل بحثه مقصوراً على الشعر الحديث فى مصر وعلى الشعر الحديث بكل ما تعنيه هذه الكلمة من مَرمىً وقوة .

وهؤلاء الأربعة الذين نقدهم المؤلف هم : خليل مطران وعبد الرحمن شكرى وأحمد زكى أبو شادى وعباس محمود العقاد . ونظرة واحدة الى هذه الأسماء يدرك منها القارىء أن الشعر الذى يحاول البلوغ إلى أعماق الحياة والتغلغل فى صميمها

إنما هو الشعر الخالد ، فهؤلاء الشعراء الأربعة — وإن اختلفوا فى بعض المذاهب — متفقون عند نقطة واحدة مركزية : هى جعل الشعر رسالة من الحياة الى الحياة ، فهم مفكرون قبل أن يكونوا شعراء ، وهم يعرفون من الشعر معناه لا ألفاظه ، وعمقه لا ضحله ، وغاياته وأغراضه ، والمثل العليا التى خُلق من أجلها الشعر . ومن هذا كان نفوذهم الأدبى البعيد ، وحقّ للمؤلف أن يدرسهم معاً فى كتاب واحد .

وهذه ظاهرة حسنة تبشّر بإدراك ماهية الشعر إدراكاً يرفعه عن مستوى اللفظ المونق والمعنى المكرّر الضحل الذى ليس وراءه لذة روحية وغاية فكرية . وهذه دلالة على الاتجاه الجديد فى إيمان الشباب بالأدب وبرسالة الشعر الحديث .

ولعلنا نظفر من الأدباء النقاد فى الأقطار العربية الأخرى — كالعراق وسورية وتونس — بأمثال هذا الكتاب المفيد عن رُوّاد الشعر الحديث فى كلٍّ منها ، فان لهذه التصانيف فائدة كبرى فى تبادل الثقافة الفنية ومعرفة التيارات الجديدة فى الشعر العربى . وقد سنّ مؤلف هذا الكتاب سنّة جميلة بأسلوبه المعتدل وتوخّيه الانصاف ، وبمحاولته الاندماج فى شخصية كلّ شاعر نقده . وقد نختلف معه فى بعض أحكامه وتفاسيره ، ولكن لا شك فى إخلاصه وفى رغبته الأكيدة فى خدمة التاريخ والنقد الأدبى خدمةً بريئةً لوجه الأدب وحده . وحبذا لو عُنيت المعاهد الدراسية بهذا الكتاب الفريد من نوعه فهو جديرٌ بالذيوع فى البيئات المدرسية ، وقد آن الأوانُ لدراسة الأعلام من شعرائنا الأحياء كما تفعل الأمم الغربية الراقية بدل الاقتصار على أشعار الموتى ، كأنما لا بدّ من الموت لتزكية الشاعر الموهوب قبل أن نلتفت الى مآثره !

زعامة الشعر الجاهلى

بين أمرىء القيس وعدىّ بن زيد

تأليف عبد المتعال الصعيدى المدرّس بكلية اللغة العربية الأزهرية

١٣٦ صفحة بحجم ٢٤ × ١٥ ½ سم . طبع بالمطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بالقاهرة . الثمن خمسون مليماً

للشيخ عبد المتعال الصعيدى جولات فى الأدب والتاريخ محمودة الأثر ، فيها من العناية بالبحث والاستقصاء ما يبوّئها مركزاً ممتازاً فى تاريخ الأدب .

وكتابه هذا قد توفّر فيه على البحث فى شاعرية شاعرين جاهليين هما امرؤ القيس

وعدىّ بن زيد . . . وكانت الحقب تمرّ ولواء الزعامة فى الشعر العربى فى العصر الجاهلىّ مرفوعٌ لامرىء القيس، فتناول مؤلف هذا الكتاب هذين الشاعرين وأثبت الزعامة لعدىّ على امرىء القيس. ووازن بينهما فأورد ما اتفقا فيه من نواح كالبيئة إذ ان امرأ القيس كان أبوه ملكاً، وعدىٌّ كان ابوه عندكسرى فى منزلة الملوك المناذرة ، وكلا الشاعرين لم يتجر بشعره . وأورد ما اختلفا فيه فأبان ما امتاز به عدىّ على امرىء القيس من جهات كثيرة منها « أن عديّاً تقلب فى احضان الحضارة بالحيرة والمدائن فى صغره وكبره ،أما امرؤ القيس فنشأ فى البادية فى ظل ملك بدوىّ فيه خشونة وترف . . . وأن عدياً أخذ بتربية مدرسية جمع فيها بين ثقافات العرب والفرس والروم ، أما امرؤ القيس فكان شأنه مثل شأن سائر أبناء البادية إذ يتركون لسليقتهم وفطرتهم » ، الى غير ذلك من النواحى التى امتاز بها من هدوء واستقرار لم يتح لامرىء القيس .

أما الموازنة بينهما فى أغراضهما الشعرية فقد أطلعنا المؤلف على نواحى العظمة فى شعر عدىّ التى تضمن له الزعامة على ندّه إذ كان عدىٌّ فى شعره « ينظر الى الكون بأسره ويؤدى رسالة عامة فى الحياة ، فهو فيه الحكيم الناصح الصادق النصيحة للانسانية عامة ، والقاصُّ البارعُ الذى يجيد سبك القصة ويعرف كيف يستخلص منها الموعظة والحكمة العجيبة ، وكم ردّ بذلك ملوكاً عن طغيانها وهدى نفوساً إلى رشادها » .

والمؤلف يرفع اللواء لزعامة عدىّ فى شعره الجاهلى ناظراً الى أثر الشعر فى حياة الإنسانية وهى النظرة السليمة التى يجب أن يأخذ بها النقاد ، فما كان يعرف امرؤ القيس فى شعره إلاّ نفسه وشهواتها ولم يشعر أن عليه رسالة يجب أن يؤديها للناس وللحياة فى هذا الشعر .

ولقد أجاد المؤلف الفاضل فى بحثه واستقصائه إجادة يستحقّ عليها كل الاعجاب، وأضاف إلى بناء النقد السليم الذى ينقص الأدبَ العربىَّ حجراً ثابتاً نودّ لو أضيف اليه كثيرٌ من أمثاله لنرى البناء فى عزّةٍ وثبات ؟

حسن كامل الصيرفى

أنداء الفجر

نظم أحمد زكى أبى شادى ، الطبعة الثانية مع تصدير ودراسات ، ١٣١ صفحة
بحجم ١٩½ × ١٤ سم . طُبع بمطبعة التعاون بالقاهرة .
الثمن خمسون مليماً

يتشوَّفُ الأدباء عامة والشعراء خاصة إلى صدور ديوان (فوق العباب) لأبى شادى ، ولكن هذا التشوّف لا يحول الآن دون الاستعراض العام لهذا الديوان الصغير من شعر صباه ، وإن لم يتجاوز ما فيه أربعمائة وخمسة وعشرين بيتاً جمعتها خمسون قصيدة ومقطوعة . وفى الحق كنتُ أشتهى أن يكون لى نصيبٌ فى دراسة هذا الديوان لمناسبة صدور طبعته الثانية ، كما تناولتُ بالدراسة من قبل صُوراً أخرى من شعر الصبا لأبى شادى فى مجلة (العصور) وغيرها ، فانّ لى شغفاً بشعره الأول . ورأيى أن الشعر يسهل تفهّمه وتذوُّقه الفنى اذا ما اقترن بدراسات مَنْ تذوّقوه وقدَّروه من قبل . ومن أجل ذلك حمدتُ ما كتبه الدكتور هيكل بك من دراسة للشوقيات وما كتبه المازنى من دراسة لديوان العقاد وما كتبه العقاد من دراسةٍ لديوان شكرى ، إلى أمثال هذه الدراسات التى ظهرت فى دواوين أصحابها لأنها تساعد على خَلق الجوّ الفنى اللائق لمطالعة تلك الدواوين . وليس من الضرورى أن نتفق وآراء أولئك الدارسين ، ولكن يهمنا أن نعرف ماذا يقوله مريدو الشاعر من تفاسير لفنه ولمزاجه وطبيعته الشعرية ، فكم من تفاسير خاطئة يتورط فيها النقاد فيما بعد بسبب إغفال أمثال هذه الدراسات فى أوانها . وقد أحسن الأدباء الأفاضل محمد عبدالغفور ومصطفى عبداللطيف السحرتى وعبدالعزيز عتيق بما قدَّموه من دراسات ممتعة لهذا الديوان ، كما أحسن الشاعر نفسه بالفصل التاريخى الرائع « مطران وأثره فى شعرى » الذى ذيَّل به الديوان ، فسيبقى هذا الفصل القيم مرجعاً من المراجع التاريخية المهمة فى تفسير شعره وتحليله . وما أحسب جمهرة الأدباء الآ مرتاحين ارتياحى الى هذه الجهود الأدبية النقدية ، فشتان بينها وبين التقاريظ الجوفاء التى كانت تكال للمؤلفين فى مطبوعات الجيل الماضى وما قبله . ولن يعيب أمثال هذه الدراسات الثقافية الا المغرضون ومَن يتوهمون أن الدراسات النقدية ليست الا ألواناً من الملاكمة ، وأما ما عَداها فيجب أن يُجرَّح ويُعاب ! ... ونحن على أى حال بازاء زعيم من زعماء الشعر العصرى يتلقى العشرات من التقاريظ النثرية والنظمية فيعفّ عن نشرها فى

هذه المجلة وفى غيرها ، ولا يأبه الا للدراسات الفنية وحدها سواء أكانت له أم عليه، فهو فى كلّ هذا القدوة المثلى للشعراء والمؤلفين .

أمّا عن شعر الديوان نفسه فعليه طابعُ الطلاقة والاصالة شأن الشعر المطبوع البعيد عن الرصّ والتكلف اللفظى وتعمد القوافى ، وتتجلى فيه الطبيعة والحبّ والوطنيات والوجدانيات ، وانما أمثلة كل ذلك قليلة لأن الديوان نفسه صغير . وكثيراً ما نلمح الوجدانيات ممتزجة بالوطنيات ،ونلمح جذوة الألم والحزن مشتعلةً فى ذلك الشعر بينما الشاعر لم يجاوز حينئذ العقد الثانى من عمره . ولعلّ أظهر الأمثلة على ذلك قصيدته « بعد الفراق » (ص ٢٦) وقد نظمها نازحاً عن وطنه ، عليلا مستشفياً جازعاً لحالة بلاده ، هذا الى أبيات مشجية متفرقة فى شعره مثل « عهد الصبابة » (ص ٢٥) و « الطب الحائر » (ص ٢٨) و « الدنيا » (ص ٣٣) و « عيش الحرّ » (ص ٣٦) وسواها . وقد فسر لنا الناقد الفاضل الأديب محمد عبد الغفور نفسية الشاعر وظروفه الخاصة التى جعلت حتى على شعر صباه هذه المسحة من الحزن والقلق . وشعر الطبيعة رائع التجلى فى هذا الديوان كما يتجلى فى بقية دواوينه ، ولا يُتذوّق مثل هذا الشعرُ باقتطاف بضعة أبيات منه ومحاولة تشويه معانيها كما يفعل المغرضون الذين يسمون أنفسهم نقاداً ، وانما يكون بدراسة القصيدة كاملة ، فأبو شادى يقدّس وحدة القصيد ، والانصاف الفنى يحتم دراسة كل قصيدة من قصائده دراسة شاملة لا العبث بأبيات منها باسم النقد . . . ولعل من أجمل قصائد الطبيعة قصيدته « أنداء الفجر » (ص ١٤) وقصيدة « أنفاس الخزامى » (ص ٤٩) وقصيدة « بنات الخريف » (ص ٦٧) . وأما الشعر الوطنى فتغلغلٌ فى جميع صفحات الديوان تقريباً وهو يمثل وطنية الشبان فى ذلك الوقت ، وإن كان لأبى شادى من الشعر الوطنى الى وقتنا هذا ما يجعله غير منازع أغزر الشعراء الوطنيين المصريين وأدقّهم على الاطلاق .

والناقدُ البصيرُ المستقلُ لا يفوته أن يلمح فى هذا الديوان بدايةَ الشخصية الفنية لشاعرنا ، ومنها تعابيره التى نجد فيها الموسيقى الطليقة ، فهو حريصٌ على انسجام كلماته وحروفه انسجاماً غنائياً تاماً ، ولكنه بعد ذلك لا يتقيد بالتعابير التقليدية وإن احترم جمالَ اللغة كلَّ الاحترام . فلشاعرنا منذ صباه طبيعةٌ فنيةٌ قويةٌ وقريحةٌ تسحّ بالشعر سحّاً ، بحيث تواتيه الألفاظ والقوافى الملائمة فى غير عناء ، فاذا جدّد فى التعابير بعد ذلك فانما هو تجديد المختار لا المضطر ، واذا تصدّى

لنقده بعد كل هذا مَنْ ليست لديهم طبيعة شعرية ومَنْ لا يتذوّقون لغة الشعراء فما الذنب ذنبه وانما الذنب ذنب الصحف المتساهلة التى لا تتورّع عن نشر الهراء النقدى . وبحسبك أن يصيح كاتب ناشئ منكراً على شاعرنا خياله الجميل عن « أنداء الفجر » فى قوله :

مِنْ دُموعِ النجومِ ، مِنْ سَهَرِ العا شقِ صِيغَتْ ، ومن رجاءِ الحياةِ
فى حَنانٍ ورقّـةٍ وهى لا تمـ لكُ مِنْ عُمرها سوى لحظاتِ

وإذا قال الشاعر إن العفاف قد عزّ فى المجتمع وأن الجبابرة الفاتحين هم فى الوقت ذاته أسرى الشهوات ، ولكنه يفخر بعفته وطرفه الكسير وسط هذه الفوضى الخلقية وبإرضاخ الأيام له حينما تنقلب على الفاتحين الذين يستسلمون لشهواتهم — إذا قال هذا القول النبيل حاول صاحبنا الناقد الغاشم قلبَ المعانى وتجريح الشاعر بتفاسير مرذولة ! . . . وقِسْ على ذلك سوء تفسيره لقصيدة « فؤادى » (ص ٤٢) التى مايزال كثيرون يعدّونها من جيد الشعر الحديث . فليرجع اليها مَن شاء وليتذوّقها كل مَنْ تثقف ثقافة علمية وفهم ما معنى « صلابة الحجر الكريم » قبل أن يمسك القلم بيده مدّعياً القدرة النقدية وهو فى حاجة صميمة الى التتلمذ على أعلام الأدب طويلا ... ومن هذا القبيل نقد عناية الشاعر بدقائق الحياة وصُوَرِها فى الأشعة والظلال والأطياف والأنغام والأصداء وتمعّنه فى النفسيات والغرائز . واذا كانت مثل هذه العناية الدقيقة مما يُعاب فما ذا يا ترى يصحّ أن يُطرَى ويُحبّ ؟ ! ... وبلغ الجهل باللغة أن يقول الناقد المغرور إن قول أبي شادى مخاطباً المرحوم مصطفى كامل (ص ٤٧) :

لكَ غالٍ من الهوى غيرُ بالٍ لوفاءٍ على المَدَى غيرِ بالِ
صَمْتُكَ اليومَ مثلُ سعيكَ بالأمـ سِ مُهيبٌ لمُخْلِدِ الأعمالِ
ضَجْعَةُ الموتِ رقدةُ السُّهدِ والوجـ دِ لقلبٍ على الردى غيرِ خالِ

مأخوذ من قول أبي العلاء :

ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريح الـ جسمُ فيها والعيشُ مثلُ السّهادِ

وأن هذا البيت الذى يقال فى الحبيب الحىّ الذى يودّعه فى حرقةٍ :

سلامٌ على حُسْنٍ دفنّا سهامَهُ بأضلعنا بين التكتّم والنّمّ

مأخوذٌ من قول نجيب الحداد في رواية (روميو وجوليت) في موقف الرثاء:

سلامٌ على حُسنٍ يدُ الموتِ لم تكن   لتمحوه أو تمحوهوَ آهٌ من القلب!

وهذا الهذر يُنشر في الصفحة الأدبية لجريدة محترمة يُشرف على تحريرها أديب كبيرٌ يحبه ويُجله الكثيرون منا . فهل أصبحت جرائدنا في حاجتها الى المادة الأدبية الى هذه الدرجة من الفقر حتى تنشر كلَّ ما يبلغها من مثل هذا الهراء النقدي باسم الأدب ؟!

وبعد هذا ، فأنداء الفجر صورةٌ نديةٌ من شعر الصبا الحبيب الى النفوس بألوانه وأطيافه ودموعه الزكية . وما من شكٍّ في أنّ مريدي أبي شادي وعُشّاق شعره الكثيرين سيشكرون لمطبعة التعاون عنايتها بتجديد هذا الديوان التاريخي كما سيشكرون للأدباء الأفاضل الذين عُنوا بدراسته ما أتحفوا به الأدباء من أدبٍ رائعٍ ونقدٍ ناضجٍ وتحليلٍ نفيسٍ ؟

على محمد البحراوى

